نعوت العذاب في القران الكريم دراسة دلالية

د. ماجد محسن راشد / جامعة واسط / كلية التربية الأساسية / قسم اللغة العربية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ٠ وبعد

فهذا البحث في العذاب ،وما دلّ عليه من نعوت واختصاص هذه الالفاظ – (النعوت) – بالعذاب ، هو محاولة جادة انطلقت من القرآن الكريم – كتاب العربية الخالد – لدراسة ظاهرة اسلوبية من أساليبه المعجزة ، تلك هي دلالة الكلمة ، من حيث كونها نعتا للعذاب ، من جهة المعنى ، والسياق الذي يرد فيه ، والغوص في أعماق ، المعنى ، للكشف عن درره البلاغية والدلالية ٠

وجاء اختياري لموضوع (نعوت العذاب في القران الكريم دراسة دلالية) إيمانا مني بأن لهذه النعوت أغراضا مختلفة ، ومعاني شتى ، فان لكل نعت معنى دلاليا يعرف من خلال دراسة سياق الاية العام لذا تكلمت على السياق الذي ورد فيه النعت ، فعندما يقول – جل وعلا – : (عذاب واصب) يخص به اقواما ، او امما معينة ٠ وعندما يقول : (عذاب شديد) ايضا يخص به امما اخرى، وهكذا ٠

وكانت دراستي لهذا النعوت مرتبة حسب كثرتها في القرآن الكريم ، فأول ما ذكرت (الأليم) نظرا لكثرة وروده ، فقد ذكر أربعا وستين مرة وهكذا بقية النعوت ، ثم تعرضت الى معناه لغة واصطلاحا ، وذلك بالرجوع الى معاجم اللغة ، والبلاغة ٠ ثم بعد ذلك ذكرت الاية التي ورد فيها النعت كمثال ، ثم درست سياق الآية العام ، من خلال البحث في معنى كل كلمة ، اذا تطلّب الامر ، وذلك بالرجوع الى كتب التفسير، واللغة ، والبيان ،لمعرفة سياق النعت ودلالته ، ودرجت على هذا النحو في النعوت الاخرى ، وذكرت في خاتمة البحث اهم النتائج التي توصلت اليها ٠

نعوت العذاب

النعت: هو تابع يبين المقصود ويكشف عما في المنعوت ويزيده وضوحا٠ لذا قال النحاة : إن النعت هو التابع المكمل متبوعه ببيان صفة من صفاته ، أو ببيان صفة من صفات ما تعلق به ·(١) نحو قوله تعالى :(رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَــذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا) ،(٢) فقوله :(الظالم) نعت بيّن صفة ، من صفات ما تعلق بالقرية، ويسمى النعت السببي. وقولنا نجح الطالب المجتهد، فهنا النعت حقيقي .

إن العذاب في القرآن الكريم جاء بصور مختلفة فمرة يكون عظيما ومرة يكون شديدا ، ومرة يكون غليظا وهكذا ، وقد جاء في مواطن كثيرة ، فعندما يذكر النعت بعده ، لابد أن يضفي شيئا عليه ٠فقد يحدده ، او يبيّن نوعه ، او قد يكون مبينا للكيفية التي يكون عليها العذاب ،فضلا عن الاغراض الدلالية التي يحملها من التخصيص ، والتأكيد ، والتوضيح ، والذم ، والتحقير ،(٣) وما الى ذلك من أغراض بلاغية ، تزيد من جمالية التعبير القرآني.

الأليم :

لغة :ألِمَ ، وجع ٠ يقال : ألم يألم ألما ٠ فهو ألم ٠ ويقال : ألم بطنه ، وجع بطنا و(آلمه) إيلاما : اوجعه ، فهو مؤلم ، وأليم و تألم ٠ توجع ٠ وقد ألم من باب طرب (ج) آلام ٠ (والإيلام) الايجاع ٠ والأليم والمؤلم : الموجع كالسميع بمعنى المُسمع ٠(٤)

اصطلاحا : هو الوجع الشديد ٠ قال تعالى : (فإنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ)(٥) وقد ألمت فلانا ، وعذاب أليم ، أي : مؤلم ٠ وهو متألم ، وضربه فآلمه ، ومسه بضرب أليم ، وبه ألم شديد وهو موجع ومؤلم ٠ (٦) وهو الشعور بما يضادّ اللذة ، سواء أكان نفسيا ام خلقيا ٠ (٧) وعلى ضوء ما تقدم فإن معنى : (الأليم) هو الوجع ، من الالم الذي يصيب الانسان، مصحوبا بالقسوة والشدة ، لذا وجدنا القرآن الكريم قد استعمل هذه الصفة ، من حيث كونها نعتا للعذاب ، وهو اختيار مناسب للسياق الذي ترد فيه ؛ لأن الله – جل وعلا – عندما يذكر هذا النعت لايريد إلا الشدة والقسوة والالم ، لما بدر من المعاقب في الدنيا ، او عقابا له في الآخرة ٠

فمن ذلك في قوله تعالى : (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) (٨)

في هذه الآية الكريمة يصف الله – جل وعلا – حال من أعرض وصد عن عبادة الله وقول الحق ، فضلا على تكبره وامتناعه عنها ، فسد الله أذنيه عن السمع ، وبشره بهذا العذاب المؤلم الموجع ، وسياق الآية يشير الى هذا المعنى وقد بدأه بقوله : (واذا) ولم يقل (وإن) ؛ لأن الامر حصل او يحدث لا محالة ؛ لأن (اذا) لما يقع كثيرا او سيقع لا محالة ، بخلاف (إن) فانها تستعمل لافتراض قد يقع وقد لا يقع ٠ ومعنى ذلك أن التلاوة قد حصلت وقد ولى عنها مستكبرا ٠ وقال (تتلى) بالمضارع ولم يقل (تليت) للدلالة على تكرار التلاوة عليه، والمفروض أن تكرار التلاوة يدعو الى

التأمل فيها ، أما هذا فهو يولي عنها مستكبرا ٠ وقال : (آياتنا) باضافة الآيات الى ضمير الله المعظم لتعظيم آياته وتشنيع فعله ٠

وقال (مستكبرا) للدلالة على أنه لم يكتف بالتوليه فقد يكون المولّي غير مستكبر، أما هذا فهو يستكبرعن آيات ربه ، فوصفه بالتولي عن آيات ربه ، وهو وصف قبيح ، ثم وصفه بالاستكبار عنها ، وهو زيادة في القبح ٠ (٩)

ومعنى الاستكبار: هو الامتناع عن قبول الحق تكبرا او تعاظما ، لذا يكون الاستكبار طلب الكبر بغير استحقاق له ، لأنه يظهر من نفسه ما ليس له ، وانما يخبر عنه بصيغة الطلب للايذان بأن مآله محض الطلب بدون حصول المطلوب (١٠)

ومعنى الوقر : ثقل في الأذن بالفتح ٠ وقيل : هو أن يذهب السمع كله ٠ والثقل اخف من ذلك ٠ وقد وقِرَت أذنه بالكسر ٠ توقر وقرا ، أي : صمّت ٠ (١١)

وقال (فبشره بعذاب اليم) والبشرى إنما تكون في الخير ، ولكنه قال ذلك استهزاء، فاستهزأ به كما استهزأ بآيات الله ٠

ووصف العذاب هنا بأنه، أليم ووصفه في الآية السابقة بأنه مهين ، وذلك أن كل وصف وضع بمكانه اللائق به ، فان الاهانه غالبا ما تكون اذا وقعت أمام الآخرين ، وكلما كانت أمام جمع اكبر كان وقعها اشد على النفس ٠٠٠ أما في الاية الثانية فانه لم يصف العذاب بأنه (مهين) لانه ذكره بمفرد ولم يذكر معه احد يشاهد تعذيبه فناسب وصفه الاليم ٠(١٢)

وقد وصف الله العذاب بالأليم وهو أقصى غايات الشدة ، واللوعة ، وفيها مبالغة في الوجع وذلك للترهيب ، والوعيد ، لمن يخالف امره – جل وعلا – ٠

وجاء في الكشاف : (ويقال : ألم فهو ألم كوجع فهو وجيع ووصف العذاب به نحو قوله : تحية بينهم ضرب وجيع ٠ وهذا على طريق قولهم جد جده ٠والالم في الحقيقة للمؤلم كما أن الجد للجاد) (١٣) : ومعنى قول الزمخشري :أن الله وصف العذاب بالأليم على طريق المبالغة فجعل (اليم) هاهنا بمعنى (مؤلم) والعذاب هو المؤلم ٠

وجاء في معاني القرآن للزجاج أن معنى الأليم : (الموجع أي يصل وجعه الى قلوبهم) (١٤) فيكون حقيقة على هذا التقدير ، والحاصل في هذه المسألة أن العذاب سبب للألم ٠ وله مسبب في

المعذب يجده ويحسه فان حملنا (الأليم) على تأثير العذاب كان الكلام حقيقة وان حملناه على مسبب العذاب ، وهو ما يجده المعذب ، كان من باب وصف الصفة بما يستحقه الموصوف ٠ (١٥)

وجاء في الفروق اللغوية بين العذاب والألم : (أن العذاب اخص من الألم وذلك أن العذاب هو ألم مستمر ، والألم يكون مستمرا وغير مستمر ، ألا ترى أن قرصة البعوض ألم وليس بعذاب فان استمر ذلك قلت عذبني البعوض الليلة ٠ فكل عذاب الم وليس كل ألم عذاب) ٠ (١٦) وبما أن النعت هو توضيح او تبين صفة من صفات متبوعه فقد جاء الألم مبينا صفة العذاب ٠ والله اعلم ٠

وورد هذا النعت في القرآن الكريم أربعا وستين مرة ، وهو من اكثر النعوت ذكرا في القرآن٠

الشديد:

لغة:جاء في اللسان :الشدة الصلابة وهي نقيض اللين تكون في الجوهر والاعراض والجمع شدد ٠ عن سيبويه قال جاء على الاصل لانه لم يشبه الفعل

وقد شدّه يشدّه شدا فأشتدّ وكل ما احكم فقد شُد وشدد ، وشدد هو وتشاد ، وشيء شديد بين الشدة ٠ وشيء شديد مشتد قوي) ٠ (١٧)

اصطلاحا : : (الشد العقد القوي ٠ يقال شددت الشيء قويت عقده٠ قال تعالى : (وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ) ، وقال : َ)فشُدُّوا الْوَثَاقَ) (١٨) ٠ والشدة تستعمل في العقد وفي البدن وفي قوى النفس ، وفي العذاب ٠ قال تعالى : َ)كانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً) (١٩) ، وقال : (عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى) (٢٠) يعني جبريل عليه السلام ، وقال : (بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ) (٢١) ، وقال : (فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ) (٢٢) ، والشديد والمتشدد ، البخيل، قال تعالى : (وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ) (٢٣) – فالشديد يجوز أن يكون بمعنى مفعول ، كأنه شدّ كما يقال غُل عن الانفصال ٠٠٠ ويجوز أن يكون بمعنى فاعل ، فالمتشدد كأنه شد صرته ٠٠ وشد فلان واشتد اذا اسرع ٠٠٠) ٠(٢٤)

يفهم مما تقدم أن كلمة (الشديد) لها دلالات معنوية كثيرة منها الصلابة والقوة والجفاء والبخل الخ ، وقد استعمل القران الكريم هذه الصفة ليتناسب معناها مع سياق الذي ترد فيه ، لأن الله – عز وجل – عندما يذكر هذا النعت مع العذاب فان المقام هو مقام تخويف وزجر وترهيب ، وهو بلا شك يعني زيادة وقوة يتصف بها العذاب الذي يأمر به – جل وعلا – ٠ ليعذب من يشاء ٠ ومن المواطن التي جاءت فيها لفظة الشديد : قوله تعالى : (اللّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ

وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) (٢٥) ٠ يبين الله – جل وعلا – في هذه الآية الكريمة أن العبودية والملك ، وكل شيء تحت تصرفه ، يفعل ما يشاء ، وما يريد ، ولو تأملنا في سياق هذه الاية لوجدنا انه افتتحها باسمه – جل وعلا– وإن كان بدلا لما قبله إلا أنه يمثل الاحاطة والشمول والثبوت ، على أنه مالك الملك ٠ ثم إنه قدم الجار والمجرور فقال : (له) وفي هذا التقديم اهتمام وعناية على عادة العرب ، من تقديم الشيء عناية به واهتماما له ٠ من حيث أنه يجلب اهتمام السامع الى انه لا يوجد من هو اعظم منه – جل وعلا – فضلا على التنبيه الذي اقتضاه مقام الرفعة والعظمة ٠(ويقدم الجار والمجرور علما ان حقه التأخير ليؤدي معنى التشويق الى ذكر المتأخر فالنفس غالبا ما تتشوق الى معرفة المتأخر ومعرفة كنهه)(٢٦) ٠ وقال : (مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ) وفي هذا الجزء من الاية نجد امرين. الاول : هو تكرار (ما) ٠ والثاني : أنه قدم السماوات على الارض ٠ وهذا ما يدعو الى التساؤل ٠ أما من جهة تكرار الاسم الموصول (ما) فلا بد من وجود اسباب دعت الى هذا التكرار منها :

(أنه اذا قصد التنصيص على الافراد ذكر الموصول وذلك نحو قوله تعالى : (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ) (٢٧)

فهنا قصد التنصيص على كل فرد من افراد السماوات والارض على وجه التخصيص فكرر (من) لذلك ٠

وكذلك أنه اذا كان الموطن دالا على التفصيل والاحاطة ، كرر الاسم الموصول بخلاف ما اذا كان الكلام مجملا غير مفصل ٠ وذلك نحو قوله : (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى) (٢٨) ٠فكرر (ما) لأن الموطن موطن شمول واحاطة وتفصيل ، فقد ذكر أن له (ما في السماوات) ،و (ما في الارض) ،و (ما بينهما) ،و (ما تحت الثرى) ، بخلاف قوله : (وَلَهُ مَا فِي الْسَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً أَفَغَيْرَ اللّهِ تَتَّقُونَ) (٢٩) فأنت ترى الفرق واضحا بين السياقين في التفصيل والاحاطة فكرر في موطن التفصيل واجمل في موطن الاجمال ٠

وقد يكون إعادة ذكر الموصول لأمر آخر وهو ذكر أمر يتعلق بصلته فمن الملاحظ في القرآن الكريم أنه اذا كرر الاسم الموصول فقال (ما في السماوات وما في الارض) فانه يريد ان يخص أهل الارض بذكر أمر من الأمور ، واذا لم يكرر (ما) فانه لا يريد أن يذكرهم بأمر خاص بهم ٠ ويتضح هذا في آيات التسبيح خاصة نحو قوله : (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) (٣٠) و (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وما في الْأَرْضِ) (٣١)٠ حيث كرر (ما) في آيات التسبيح فانه ذكر أهل الارض بعدها ، وحيث اجمل لم يذكرها٠ (٣٢)

وأما من جهة تقديم (السماوات) على (الارض)، فان السياق فيه مقام ترهيب ووعيد في الاخرة ، لأن الله – جل وعلا – توعد الكافرين بالعذاب في الاخرة ، فناسب ذكر السماء وتقديمها على الارض ، فضلا عن الاهتمام بأمرهم ٠

وقال : (وَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) وهذا وعيد للكافرين بالويل ، وكما قيل هو واد في جهنم ، اعده الله لهم ٠ اذ قابل – جل وعلا – قدرته وملكه الذي لا يحد ولا يعد، بحجم العذاب الذي سيلقاه الكافرون في الويل ٠

قال الزجاج : (الويل في اللغة كلمة يستعملها كل واقع في هلكة واصله في العذاب و الهلاك ٠٠٠ الرفع على معنى ثبوت الويل) (٣٣)٠ أي أن الويل ثابت في حقهم ٠ ومنه قوله تعالى : (يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ) (٣٤)٠ ومعناه انهم ينادون هلكتم التي هلكوا بها من بين المهلكات تعجبا من شأنه ٠ فهي الويل والويلة وهما الهلكة والجمع الويلات (٣٥)٠ ونرى أن ثمت علاقة ترابط معنوية بين لفظة (الويل)، ولفظة (الشديد)وهما في سياق واحد ، اذ إن (الويل) كما تقدم من أودية جهنم ، فاعقبه الله بنعت الشدة في العذاب، وهذا ما يقتضيه السياق ٠ والله اعلم ٠

جاء في الكشاف : (الويل نقيض الوأل وهو النجاة اسم معنى كالهلاك ٠ إلا أنه لا يشتق منه فعل انما يقال ويلا له فينصب نصب المصادر ثم رفع رفعها لافادة معنى الثبات فيقال ويل له كقوله : سلام عليك ٠ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر الى نور الايمان توعد الكافرين بالويل ٠ فان قلت : ما وجه اتصال قوله (من عذاب شديد) بالويل ٠؟ قلت لأن المعنى انهم يولولون من عذاب شديد ويضجون منه ويقولون يا ويلاه ، كقوله تعالى : (دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً) (٣٦) ٠ وقد ورد ذكر هذا النعت في القرآن الكريم (عشرين مرة) وكان معناه الشدة ،والقوة ،والتنكيل بالمعذب ٠

المهين :

لغة : جاء في لسان العرب : (٠٠٠ أهانه ، وهوّنه ، واستهان به وتهاون به ٠ استخف والاسم الهوان ، والمهانه ٠ ورجل فيه مهانه ، أي : ذل ، وضعف ٠ قال ابن بري : المهانه ، من الهوان مفعلة منه وميمها زائدة ٠ والمهانه من الحقارة ، فعالة ، مصدر مهن مهانه اذا كان حقيرا ٠ وفي الحديث : (ليس بالجافي ولا المهين) يروى بفتح الميم وضمها ٠ والضم في الاهانه ، والاستخفاف بالشيء والاستحقار ٠ والاسم الهوان ٠٠٠) (٣٧) ٠

اصطلاحا : إن (الهوان على وجهين : احداهما : تذلل الانسان في نفسه ، لما لا يلحق به غضاضة ، فيمدح به ، نحو قوله تعالى : (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً) (٣٨) ٠ والثاني أن

يكون من جهة متسلّط ٠ مستخف به ، فيذم به ٠ وعلى الثاني قوله تعالى : (الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ) (٣٩) ٠ وقوله : (وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ) (٤٠) ٠ويقال هان الامر على فلان ، سهل قال تعالى : (هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ) (٤١)٠ ٠٠٠ والهاوون فاعول من الهوان) (٤٢) ٠

وما تقدم يعني أن لفظة (مهين) ، لها دلالات معنوية عدة ، منها انها تعطي معنى الاهانة ، والذل ، والضعف ، وهذا ما يصبوا اليه البحث ، كونه نعتا للعذاب فان الله – جل وعلا – عندما يصف شخصا او قوما بهذا النعت فانه يريد اذلالهم ، وتحقيرهم ، وذمهم بأبشع صورة ٠ ومن المواطن التي ذكر فيها هذا اللفظ قوله تعالى :) مِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) (٤٣) ٠

يبين الله – عز وجل – في هذا النص القرآني ان هناك طائفة من الناس يحبون أن يتكلموا في الكفر وما يغضب الله وما فيه اساءة للاسلام والمسلمين ، وذلك حسدا وبغضا وكفرا ، وقد سمى الله ذلك شراء او ذلك لما في هذه اللفظ من دلالة بلاغية اذ الشراء فيه دفع ثمن مقابل ذلك ليكون المشتري احرص على أخذ ما يشتريه والحفاظ عليه فهؤلاء

اخذوا هذا الكلام وبقوا عليه ليكون وبالا عليهم في الاخرة وهم لم يدركوا ذلك ولن يعلموه لان الله – جل وعلا – اضلهم و أعمى ابصارهم ٠

جاء في البحر المحيط : (ومن عادة المشتري الاغتباط بما اشتراه والسرور به والفرح ، فختمت الآية لان صفقته خسرت بألم العذاب بما يجده المشتري المغبون في تجارته) (٤٤) ٠

والمشتري يشتري عادة ما ينفعه وهو يعلم ماذا يشتري ٠ أما هذا فيشتري بغير علم وهو يشتري ما يضره ولا ينفعه ٠ وعلى هذا فان قوله (بغير علم) متعلق بالفعل (يشتري) ٠ويحتمل ان يكون متعلقا بـــ (يضل) فيكون الضلال بغير علم ، أي يضل الناس وهو لا يعلم ٠ ويترجح انه متعلق بالفعلين (يشتري) و (يضل) فيكون من باب التنازع فهو يشتري بغير علم ويضل بغير علم فتكون الخسارة مضاعفة ٠ ذلك لان من يشتري ولا يعلم ماذا يشتري خاسر وكونه يضل بغير علم خاسر ايضا ٠ فان المشتري بغير علم قد يقتصر ضرره على نفسه ، أما هذا فهو يضل الآخرين فيعدى ضرره الى الاخرين وكونه يضل بغير علم لا يعفيه من المسؤولية ، لأن الأصل أن يتكلم بعلم ولا يتكلم بما ليس له به علم فيضل الناس بجهله ٠ بل أن هذا اخسر الخاسرين ولا يعفيه جهله وان حسب انه مهتد ٠٠٠ وقال : (ويتخذها هزوا) الضمير في (يتخذها) يحتمل أن يعود على (آيات الكتاب) المذكور ، أولا ، ويحتمل أن يعود على السبيل ٠ ولم يات باللام مع المعطوف (ويتخذها)

فلم يقل (وليتخذها هزوا) ذلك أن المعطوف ليس بمنزلة المعطوف عليه من حيث الغرض والتعليل وانما هو يأتي بالدرجة الثانية ٠ فان الغرض الاول من اشتراء لهو الحديث والاساطير هو الاضلال وصرف المستمعين عن القران الكريم ٠ اما الهزء فيأتي بالدرجة الثانية ، لأن الهزء انما يمكن أن يحصل بطرائق متعدد وليس عن طريق شراء الأساطير فان الغرض من شراء الاساطير انما هو الإضلال عن سبيل الله فلما لم يكونا بمنزلة واحدة حذف اللام فان الذكر أكد من الحذف ٠ فقولك (مررت بأحمد وبمحمود) أكد من قولك (مررت بأحمد ومحمود) فلما لم يكن المتعاطفان بمنزلة واحدة في الغرض حذف اللام مما هو اقل شانا في التعليل ٠ وقال (لهم عذاب مهين) جمع بعد الافراد اذ قال اولا (ومن الناس من يشري ٠٠٠ ليضل ٠٠٠ ويتخذها هزوا) بالفراد ثم قال بعدها (اولئك لهم عذاب مهين) بصيغة الجمع وذلك انه كما قال (ليضل عن سبيل الله) كان التهديد له ولمن يضلهم يدلك على ذلك انه جاء في سورة البقرة بالفراد مع المتعاطفات فقال : َ)مِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ ٠٠٠وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ ٠٠٠وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ ٠٠٠ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ)(٤٥)٠ فجاء بالفراد فقال (فحسبه جهنم) لانه لم يذكر احدا معه ٠

جاء في (التحرير والتنوير) : (لما كان (من يشتري لهو الحديث) صادقا على النضر بن الحارث والذين يستمعون الى قصصه من المشركين جيء في وعيدهم بصيغة الجمع ٠٠٠ ووصف العذاب بأنه مهين لأنه استهان بايات الله واستهزأ بها واستكبر عنها، والاستهزاء اهانه لمن يستهزأ به فجعل له عذابا مهينا ٠٠) (٤٦).

وقد وصف الله – جل وعلا – هنا العذاب بأنه مهين وفي الآية التي بعدها بأنه اليم ٠ وهو جمع بين العذابين وفي ذلك مناسبة في السياق فان لكل لفظة مكانها المناسب لها اذ

في آية الشراء ذكر الاهانة وهو ذم للمشتري واستهزاء به في الآية التي بعدها ذكر الأليم وهو وصف للعذاب الذي سيلقاه ذلك الكافر بانه مؤلم ولايطلع عليه احد ٠ والله اعلم

وقد ورد ذكر هذا النعت في القرآن الكريم (أربع عشرة مرة) وفي اغلبها ا يذكر الله – جل وعلا – ذلك مع الكافرين٠

عظيم :

لغة : جاء في اللسان : (عظم من صفات الله – عز وجل – العلي العظيم ، وسبح العبد ربه فيقول : سبحان ربي العظيم ٠ والعظيم الذي جاوز قدره وجلّ عن حدود العقول حتى لا تتصور الإحاطة بكنهه وحقيقته والعظم من صفات الاجسام ، كبر ، الطول ، العرض ، العمق ٠ الله تعالى جل عن ذلك) (٤٧)

• ويقال عظم الشيء عظما ، وعظامة ، كبر والرجل فخم فهو عظيم • (ج)عظام وعظماء • واعظم الامر : صار عظيما (٤٨) •

اصطلاحا : إن (عظم الشيء أصله ، كبُر عظمه ، ثم استعير لكل كبير فأجري مجراه محسوسا كان أو معقولا • عينا كان او معنى • قال تعالى : (عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) (٤٩) • وقال : (قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ) (٥٠)• والعظيم اذا استعمل في الاعيان فاصله أن يقال في الاجزاء المتصلة والكثير يقال في المنفصلة ، ثم قد يقال في المتصل عظيم ، نحو : جيش عظيم ، وحال عظيم ، وذلك في المعنى الكثير ، والعظيمة النازلة) (٥١)• واذا وصف العبد بالعظمة ، فهو ذم ، لان العظمة في الحقيقة لله – عز وجل – وأما عظمة العبد فكبره المذموم وتجبره (٥٢) •

فلفظة (العظيم) تعني : كبر الشيء وعظمه ، وهوله ، •••الخ • ولهذا استعمله – جل وعلا – تعبيرا عن عظمة العذاب وهوله وليكون وقعه اشد على السامع وذلك ابلغ في التعبير والسياق المناسب له • ومن المواطن التي ذكر فيها هذا النعت .

قال تعالى (خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ)(٥٣)• في هذا النص القراني ختم الله – جل وعلا – الاية بقوله (عذاب عظيم) وهي عبارة قد جاءت حاملة للقوة المنبثقة من شدة الوعيد الخاص بالمعاندين • وفي نظرة

فاحصة للسياق تشير الآية المتقدمة الى أن لفظة (ختم) قد جاءت مطوقة للحيّز الانساني الشامل للحواس (قلب ، سمع ، بصر) اذ أن هذا التطويق جاء مرفودا بلفظة (غشاوة) التي زادت في حيز العذاب ، الذي طَوق الكفار به ، ويزيد من هذا الطابع الاختصاص بالعذاب لهذه الفئة دون غيرها ، والذي يقويه تقدم الخبر (لهم) على المبتدأ (عذاب) وذلك ليوسع في نفس المتلقي بان هذه الفئة من الكفار امتازت بعذاب خاص تشوبه القوة والشدة والعظمة •

جاء في كتاب التعبير القرآني انه : (قدم القلوب على السمع في البقرة وذلك لانه في البقرة ذكر القلوب المريضة فقال : (فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً) (٥٤)• فقدم القلوب لذلك ••• ثم إن آية البقرة ذكرت من اصناف الكافرين من هم اشد ضلالا وكفرا وذلك في قوله : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ) (٥٥) • اذ إن الإنذار وعدمه عليهم سواء، وإنهم ميئوس من ايمانهم • ثم كرر حرف الجر (على) مع القلوب والاسماع وهذا مما يفيد توكيد الختم • ثم قال : (وعلى ابصارهم غشاوة) بالجملة الاسمية • الجملة الاسمية كما هو معلوم تفيد الدوام والثبات ومعنى ذلك أن هؤلاء لم يسبق لهم أن ابصروا وانما هذا شانهم وخلقتهم فلا أمل في ابصارهم في يوم من

الايام ٠ فختم هذه الآية بقوله : (لهم عذاب عظيم) فدل ذلك على أن صفات الكفر اشد تمكأ فيهم ٠ لذا قدم ختم القلب على ما سواه ، لأنه هو الأهم فان القلب هو محل الهدى والضلال ، واذا ختم عليه فلا ينفع سمع ولا بصر ٠ فكان تقديم القلب أولى وانسب) (٥٦)٠ وقد استعير الختم للقلب والغشاوة للبصر ، وذلك في غاية الدقة لأن القرآن الكريم دقيق التعبير إذ إن الفائدة المستوحاة من هذه الالفاظ أبلغ ٠

جاء في كتاب فوائد في مشكل القران : (ولِم قال : وابصارهم ؟ والجواب أن القلوب لما كانت مجوفة اشبهت الاكياس فاستعير الختم والطبع والاكنة (٤٥)، والبصر ليس مجوفا فكان الذي يناسبه الغشاوة)(٥٧) ٠

إذن جاءت لفظة : (العظيم) وهي تعني القوة والشدة التي اتصف بها المعذِّب ، فضلا على العذاب الذي يخصص لطائفة من الناس فجاء الوصف بالنعت مناسبا لهؤلاء ٠

قال ابو هلال العسكري : (واصل الكلمة القوة ، ومنه سمي العظيم عظيما لقوته ، ويجوز أن يقال إن اصله عظيم الجثة ثم نقل لعظيم الشأن ٠ قال تعالى : (عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) فسماه عظيما لعظم مافيه من الالم والبلاء ، وما اتسع لأن يكون فيه العظيم استحق بأن يوصف أنه عظيم)(٥٨) ٠ وقد تكرر هذا اللفظ في القران الكريم من حيث كونه نعتا للعذاب (اثنتىي عشرة مرة) وكان معناه يشير فيها الى كبر حجم العذاب وشدته وقوته٠

ومن الأغراض البلاغية التي افادها هذا النعت هي التخصيص ، والتحقير، والتوضيح ، فمن جهة التخصيص فقد خصص – جل وعلا – العذاب بالعظمة ترهيبا ، ووصفه بها تحقيرا ، وبينه حتى يرسم للمعذب صورة بلاغية تفيد كيفية التعذيب والله اعلم٠

مقيم :

لغة : جاء في لسان العرب : (القيام نقيض الجلوس : قام يقوم قوما ، وقياما وقومة ، وقامة ، والقومة المرة الواحدة ٠٠٠ ورجل قائم من رجال قوّم ، ٠٠٠٠ ، وقيّام وقيام وقوّم ٠ قيل اسم للجمع ٠ وقيل اجمع ٠٠٠ والمقام والمقامة : الموضع الذي تقيم فيه ، والمقامة بالضم الاقامة ، والمقامة بالفتح المجلس ، والجماعة من الناس ٠٠٠ واقام الشيء أدامه ٠٠٠)(٥٩)٠

اصطلاحا : أنه (يعبر بالاقامة عن الدوام كقوله تعالى : (عَذَابٌ مُّقِيمٌ) (٦٠) ٠ وبه قوام ، يقوم كثيرا من خلفه به ، وفلان يقام به ، وقيم بفلان واقامة من مكانه واقاموا بالدار واقاموا عنها ، ظعنوا وهذا مقام الساقي ، وهذا مقام الحي ، ومقامهم ، ودار مقامتهم ٠٠٠)(٦١)٠

لهذه الكلمة دلالات معنوية كثيرة ، ما يهمنا هو دلالتها على معنى الاقامة او الدوام ، لانها جاءت نعتا للعذاب ، فهي تعطي معنى الدوام ، والاقامة ، فضلا على أن البناء للكلمة دائما يكون ملازما للعذاب في القرآن الكريم ٠

ومن المواطن التي ذكر فيها هذا النعت في القرآن الكريم قوله : (يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ) (٦٢) ٠

إن المعنى العام الذي يوحي اليه هذا النص القرآني ، هو تمنى الكفّار الخروج من النار ، وعبّر عنه القرآن الكريم بأسلوب الارادة ، ولكن الله – عز وجل – نفى خروجهم منها ، بعد إن دخلوا فيها ، وهذا ما اكدته الآية الكريمة : (كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا) ٠ أي : هذا مقامهم في هذه الحياة لأنهم لم يحسنوا التصرف في حياتهم الدنيوية ٠ فكان هذا عقابا لهم ٠

جاء في البحر المحيط أن المعنى : (أي : يرجون ، او يتمنون ، او يكادون ، او يسألون ، اقوال متقاربه من حيث المعنى ، والارادة ممكنة في حقهم ، فلا تنبغي أن تخرج عن ظاهرها ٠ قال الحسن : اذا فارت بهم النار ، فروا من بأسها ، فحينئذ يريدون الخروج ويطمعون فيه ، وذلك قوله تعالى في الآية ٠ وقيل لجابر بن عبد الله : إنكم يا اصحاب محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – تقولون إن قوما يخرجون من النار ٠ والله تعالى يقول : (وما هم بخارجين منها) فقال جابر : انما هو في الكفار خاصة) (٦٣) ٠

ونجد في هذا النص القرآني أسلوبا بلاغيا رصينا ، هو اسلوب المقابلة وذلك في قوله : (يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ) ، وفي هذه المقابلة دلالة على الخسارة العظمى التي أطاحت بهؤلاء المعاندين لله ورسوله الكريم من خلال

مقابلة الخوف الذي يؤدي بهم الى طلب الفرار من النار ، وهو شيء مستحيل ، وحالة البقاء مكتوبة عليهم ٠(٦٤) فهذا الخلود والعذاب المستمرعلى الدوام أكده سياق الآية بأشياء عدة منها أنه – عز وجل – نفى خروجهم من النار بالجملة الاسمية وفيها دلالة على ثبات الاستمرارية (٦٥) ، وهذا حال الكفار في النار ، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى أنه – عز وجل – اختار النفي ب (ما) دون غيرها لأنها أقوى في النفي من غيرها ٠(٦٦) فضلا على التأكيد بحرف الجر الباء المتصل باسم الفاعل ، والذي

يكون معناه الاصل الالصاق ، أي أن هذا العذاب لاصق بهم على الدوام وقد جاءت الجملة في قوله (وما هم بخارجين) مصدره بالضمير (هم) الذي يفيد الحصر والاختصاص ،

جاء في حاشية بن المنيّر على الكشاف في تفسير هذه الآية : (ووجه الدلالة منها على ذلك أنه صدر الجملة بضمير مبتدأ ، ومثل هذا النظم يقتضي الاختصاص والحصر لغة اذ يبتني الأمر على ذلك لزم حصر نفي الخروج من النار في هؤلاء الكفار دون غيرهم من الموحدين) (٦٧)، اضافة الى ذلك أنه أكد مرة اخرى بجملة اسمية ببقاء هذا العذاب وملازمته لهم ، بأسلوب التقديم والتأخير ، وبقوله (ولهم عذاب مهين) وذلك بتقديم الخبر (لهم) على المبتدأ (عذاب) وهذا الاسلوب مثير للاهتمام بأمر هؤلاء المعاندين ، وهذا إن دلّ على شيء يوحي الى أن هذا العذاب مقيم دائم على الكفار المعاندين الملحدين ، فهذا النعت لم يوضح كيفية العذاب او نوعه وانما بيّن دوامه واستمراره ، والله اعلم ،

وقد ورد هذا النعت في القران الكريم (خمس مرات) وفيها يتوعد الله – جل وعلا – الكفار بهذا العذاب ،

غليظ :

لغة : غَلُظ الشيء بالضم (غلظا) بوزن عنب ، صار غليظا وغلظ يغلظ غلظا ، واستغلظ مثله وهو غليظ وغلاظ ، والانثى غليظة ، وجمعها غلاظ ،،، ، وغلّظ الشيء جعله غليظا ، واغلظ الثوب ، وجده غليظا ، وقيل اشتراه غليظا ، واستغلظه ترك شراءه لغلظه ، وغلظت السنبلة ، واستغلظت ، خرج فيها القمح ، واستغلظ النبات والشجر ، صار غليظا ،،،اذ استحكمت نبتته ، وارض غليظة غير سهلة ، وغلظت عليه ، واغلظت له ، وفيه غلظة وغِلظة وغلاظة ، أي اشدة واستطالة ،،،، ، ورجل غليظ فظ ، فيه غلظة ذو غلظة وفظاظة ، وقساوة وشدة ،، وأمر غليظ ، شديد صعب ، وعهد غليظ كذلك ، (٦٨)

اصطلاحا : إن :(الغلظة ضد الرقة ، ويقال : غِلظة و غُلُظة ، وأصله أن يستعمل في الاجسام ، لكن قد يستعار للمعاني كالكبير ، والكثير قال تعالى: (وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً) (٦٩) ، أي خشونة ، وقال : (مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ)(٧٠) ،،، واستغلظ تهيأ لذلك ،

وقد يقال : اذا غلظ ، قال تعالى : (فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ)(٧١)، (٧٢)،

وما تقدم يعني أن (غليظ) معناه الشدة والقسوة ، والجفاء ، والابتعاد وما الى ذلك من دلالات معنوية ، وقد استعمل القرآن الكريم هذه الدلالات لتعطي معنى القسوة في العذاب ، وشدة تضاف الى شدة ، وذلك ليكون الانسان على علم بما سينتظره والى ما يؤول اليه اذا ما فعل ما يخالف به شريعة الله وسنة نبيه – صلى الله عليه وآله وسلم – ومن المواضع التي ورد فيها ذكر هذا النعت قوله تعالى : (مِّن وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَّاء صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ) (٧٣) . لو تأملنا في هذا النص القرآني لوجدنا أن لفظة (غليظ) جاءت مناسبة للسياق الذي وردت فيه ، فالمقام هو مقام تعذيب ، وترهيب ، ووعيد . لمن تكبر وتجبر على الله – جل وعلا – وظلّ على كفره وعناده ، وغرته الحياة الدنيا بزينتها ، ووصل به الامر الى التطاول على الرسل . وقد أعد الله له جهنم يسقيه من مائها إذا اصابه العطش وصفة هذا الماء أن يكون صديدا . اذ لا يستطيع احد أن يسيغ النظر اليه ، او تقريبه من الفم فكيف يستطيع شربه ليرتوي من الظمأ الذي يصيبه ، وهو في جهنم ، وهذه حاله ، اذ يتمنى الموت ليتخلص من هذا العذاب والألم وقد يستمر على هذه الحال الى ما شاء الله فضلا على العذاب الذي ينتظره (الغليظ) وهو أشد عليه من سابقه .

وكذلك نجد من الاساليب الفنية والبلاغية ، ما ينبهر عندها السامع . فسبحان من نظم هذه الدرر وقال : (من ورائه جهنم) بتقديم الجار والمجرور ، وهو الخبر على المبتدأ ، وفي ذلك ما يفيد الاختصاص ، أي : أن جهنم محيطة به لا محال ولا سبيل للخروج منها . وقال (ويسقى) وفي هذه اللفظة ما يدل على أن هنالك من يسقيه هذا العذاب ، وهو ما أفاده التعبير بصيغة المبني للمجهول الذي يعني أن هنالك دافعاً خارجياً يقوم بهذا العمل . وهو اسقاؤه هذا الماءعلى الرغم من انفه .(٧٤) . ونلمح في هذا السياق ايضا دلالة فنية اخرى وهي تكرار صيغة المضارع في هذا النص القرآني : (يتجرعه ، يكاد ، يسيغه ، يأتيه) الذي يستعمل للدلالة على وقوع الحدث في الحال والاستقبال(٧٥). (وقد يوظف تكرار المضارع للتعبير عن الافعال التي اصبحت عادة ودأبا للموصوف بها ، فضلا عن تشخيص تلك الافعال واحضارها في الاذهان) (٧٦) . فهذه الافعال صارت عادة ودأبا لهذا الصنف من الناس ليذوقوا هذا العذاب . ثم ختم الله – جل وعلا – الآية بالعذاب الغليظ ، ومعنى ذلك : أن هذا الصنف من الناس عندما يدخل جهنم ويتجرع الماء الصديد يتذوق مرارة الموت وبعد ذلك ينتظره العذاب الغليظ ، أي : عذاب اشد وأقسى مما سبق .

(وقد وصف العذاب بأنه غليظ تنزيلا للعذاب في منزلة الاشياء الملموسة وهو مجاز) (٧٧)٠ علاوة على ما ذكر فان هذا النعت جار على صورة التنكير والتنكير له اغراض بلاغية عدة منها التحقير والاستهزاء والتهويل وما الى ذلك وكل هذه معان تنطبق

على سياق الاية ٠ والله اعلم ٠

جاء في الكشاف : (من ورائه) من بين يديه قال الشاعر:

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون ورائه فرج قريب

وهذا وصف حاله وهو في الدنيا لانه مرصد لجهنم ، فكأنها بين يديه ، وعلى شفيرها ، او وصف حاله في الاخرى حين يبعث ويوقف ٠ فان قلت : علام عطف (ويسقى) ؟ قلت : على محذوف تقديره : من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ، ويسقى من ماء صديد ٠ كأنه اشد عذابها ، فخصص بالذكر مع قوله (ويَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ)٠ فان قلت : ما وجه قوله : (من ماء صديد) ؟ قلت صديد عطف بيان لماء ، قال ويسقى من ماء ، فأبهمه إبهاما ثم بينه بقوله صديد وهو ما يسيل من جلود اهل النار (يتجرعه) يتكلف جرعه ٠ (ولا يكاد يسيغه) دخل كاد للمبالغة : يعني لا يقارب أن يسيغه فكيف تكون الاساغة كقوله : (لم يكد يراها) ، أي لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها ٠ (ويَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ) كأن اسباب الموت وأصنافه كلها قد تألبت عليه وأحاطت به من جميع الجهات تفظيعا لما يصيبه من الآلام ٠٠٠٠، (ومن ورائه) من بين يديه (عذاب غليظ) أي في كل وقت يستقبله يتلقى عذابا اشد بما قبله وأغلظ) (٧٨) ٠

وعلى ما تقدم فإن (غليظ) تعطي معنى الشدة ، والقسوة ، والغلظة في العذاب ، وهذا ما نراه جليا في المواطن التي ذكر فيها هذا النعت ٠ وقد ورد ذكره في القراآن الكريم (أربع مرات) ٠

الأكبر :

لغة : كَبَره في السن كَبْرا زاد عليه فيها ، كَـــبر الرجل او الحيوان كبرا : طعن في السن ، فهو كبير (ج) كبار ،و كبراء ، وكَبُر ، كبرا ، وكبارة : عظم ، وجسم فهو كبير ٠ وكبار ٠ ويقال : اكبر الشيء : رآه كبيرا ٠ ويقال : اكبر فلانا : اعظمه ، وكبّر الشيء : جعله كبيرا ، ورآه كبيرا ، وفلان تكبيرا ٠ قال : الله اكبر ، تعظيما لله ٠٠٠ والأكبر ، يقال : فلان اكبر قومه : اقربهم الى الجد (ج) الأكابر ٠ والكبر ، الهرم ، والكبر العظمة ، وكذلك الكبرياء ٠ ورث القوم مجدهم كابرا عن كابر٠ أي كبيرا عن كبير في الشرف والعزة (٧٩) ٠

اصطلاحا : (التكبر يقال على وجهين : احدهما : أن تكون الافعال الحسنة كثيرة ، في الحقيقة وزائدة على محاسن غيره ، وعلى هذا وصف الله تعالى : بالمتكبر ٠ قال تعالى : (الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ) (٨٠)٠

والثاني : أن يكون متكلفا لذلك متشبها ٠ وذلك في وصف عامة الناس٠ نحو قوله : (فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ) (٨١) ؛ وقوله : (كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ) (٨٢)٠ ومن وصف بالمتكبر على الوجه الأول فمحمود ، ومن وصف به على الوجه الثاني فمذموم ٠ وقوله : (لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (٨٣) فهي اشارة الى ما خصهما الله – تعالى – من عجائب صنعه وحكمته التي لا يعلمها إلا قليل ممن وصفهم بقوله : (وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) (٨٤) فاما عظم جثتهما فأكثرهم يعلمونه وقوله : (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى) (٨٥) فتنبيه أن كل ما ينال الكافر من عذاب قبل ذلك في الدنيا وفي البرزخ صغير في جنب عذاب ذلك اليوم (٨٦)٠

وعلى ما تقدم فإن لفظة (الأكبر) لها معان ودلالات كثيرة وكلها تشير الى عظم الشيء ٠ وكبر حجمه ٠ فضلا على كونها تعطي معنى العظمة والقوة لهذا العذاب ، وذلك للترهيب منه ، وبيان حجمه بأنه اكبر نعوت العذاب ٠ وهذا ما نجده في قوله : (لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ إِلَّا مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ) (٨٧) ٠في سياق هذه الآيات يخاطب الله – جل وعلا – نبيه الكريم بأن يبتعد عن هؤلاء المعاندين ، اذ ليس له سلطان عليهم فإن مرجعهم الى الله العدل الذي سيحكم بينهم يوم القيامة فيحاسبهم حسابا عسيرا ، ويقوي هذا الاسلوب دخول الفاء على لفظة (العذاب) اذ تشعر بالتهكم والسخرية ، وما سيؤول اليه حال هذا الكافر في جهنم عندما يذوق العذاب الاكبر ، وكذلك استحضارا للاذهان وتصويرا للاحداث ، فان حرف الفاء فيه من البلاغة والبيان ما يعجز العقل البشري عن تصوره (٨٨)٠

جاء في مجمع البيان : (إنك انما بعثت للتذكير وليس عليك من ترك قبولهم شيء (إلا من تولى وكفر) أي : اعرض عن الذكر ولم يقبل منك ٠ وكفر بالله وبما جئت به فكِلْ امره الى الله ٠ (فيعذبه العذاب الاكبر) وهو الخلود في النار ولا عذاب اعظم منه) (٨٩)٠

واذا انعمنا النظر في سياق الآية نجد أن للاستثناء دورا في المعنى قد يبين ، أو يفسر ما في الآية من امور دلالية ، ويتضح ذلك من خلال معرفة نوع الاستثناء ٠

جاء في انوار التنزيل : (وقيل : إن الاستثاء متصل فان جهاد الكفار وقتلهم تسلط وكأنه أوعدهم بالجهاد في الدنيا ، وعذاب النار في الاخره ٠ وقيل : هو استثناء من قوله : (فذكّر) أي : فذكر إلا من تولى وأصبر فاستحق العذاب الاكبر ، وما بينهما ، اعتراض ، ويؤيد الأول أنه قريء (ألا)(٩٠) على التنبيه) (٩١) ٠

والذي يفهم من الكلام المتقدم أن الاستثناء فيه قولان :

الأول : منقطع ، لأن الجنس مختلف ، والمعنى على (لكن) ، أي : أن الحكم جاء على خلاف النقيض ، أي : لكن من تولى وكفر واعرض عن ذكر الله فيعذبه الله ، وهذا

مستفاد من قوله تعالى في الآية السابقة لها ٠ وعليه (إلا) اداة استثناء (من) اسم موصول مستثنى منقطع في محل نصب وجوبا ٠

الثاني : أنه متصل من المفعول المحذوف ، تقديره : فذكر عبادي إلا من تولى وكفر ، او بتقدير : أنت مذكر الناس إلا من تولى ٠ وعليه (إلا) اداة استثناء او حصر (من) اسم موصول مستثنى في محل نصب من المفعول به المحذوف المقدر (عبادي) ٠ أو في محل جر بدل من الضمير في عليهم والذي جوز الاستثناء والاتباع هو كون الكلام تاما غير موجب (٩٢) ٠

أما من جهة بنية الكلمة (الأكبر) فقد استعمل القرآن الكريم التعبير بصيغة (أفعل) التفضيل ، وهو بناء مألوف في كلام العرب ، وقد جاءت هذه الصيغة معرّفة بـــ (ال) واذا كان التفضيل معرفا بـــ (ال) فهو اقوى واعلى درجات المفاضلة (٩٣) ٠

ويعني ذلك أن هذا العذاب (الأكبر) هو أعم انواع العذاب اذ يشمل الدنيا والاخرة ٠ جاء في زاد المسير ان المعنى : (هو أن يدخله جهنم وذلك أنهم قد عذبوا في الدنيا بالجوع والقتل والاسر فكان عذاب جهنم هو الأكبر) (٩٤)٠

علاوة على ذلك فإن التعريف لهذا النعت يفيد إما القصر حقيقة او تجوز ا ، وذلك لقصد المبالغة بان العذاب كبير لا يتصور أحد كنهه ، او حجمه ٠

وقد ورد ذكر هذا النعت في القرآن الكريم (مرتين) .

ضعفا :

لغة : جاء في كتاب مجمل اللغة : (الضَعف و الضُعف خلاف القوة ٠ قال الخليل : اضعفت الشيء اضعافا وضعفته تضعيفا ٠ وضاعفته مضاعفة ٠ وهو أن يزاد على الشيء فيجعل مثلين او اكثر ، والمضعوف الشيء المضاعف ٠ قال ابو عمرو : والمضعوف من أضعفت الشيء ، وذكر ابو عبيد ذلك في باب افعلته فهو مفعول ٠ والمضاعفة ، الدرع نسجت حلقتين حلقتين ٠) (٩٥) ٠

اصطلاحا : إن: (الضّعف قد يكون في النفس وفي البدن وفي الحال ٠ وقيل : الضَعف و الضُعف لغتان ٠٠٠ والضعف هو من الالفاظ المتضايفة ، التي يقتضي وجود احدهما وجود الآخر ، كالنصف والزوج ، وهو تركيب قدرين متساويين ، ويختص بالعدد ٠ فاذا قيل : اضعفت الشيء وضعّفته وضاعفته ضممت اليه مثله فصاعدا ، ولهذا قرأ اكثرهم (يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ) (٩٦) ٠

وقيل : ضاعفت أبلغ من ضعّفت ، وقال : (وإن تك حسنة يضاعفها)(٩٧) ٠٠٠

وقيل ضعفته بالتخفيف ضعفا فهو مضعوف ٠ فالضّعف مصدر ٠ والضّعف اسم كالشيء والشيء ، فضعف الشيء هو الذي يثنيه ، ومتى أضيف الى عدد اقتضى ذلك العدد ومثله ، نحو أن يقال : ضعف العشرة ، وضعف المائة ، وذلك عشرون ومائتان ٠٠٠) (٩٨) ٠

وما تقدم يشير الى أن (الضعف) بكسر الضاد وفتحها ، معناه تثنية الشيء ، او مضاعفته الى اكثر من واحد ٠ وقد جاءت هذه اللفظة في القرآن الكريم ، من حيث كونها نعتا للعذاب ، فكانت دلالتها بما لا يقبل الشك أن الله – جل وعلا – يضاعف العذاب مرتين او اكثر ، ليكون رادعا قويا للفئة التي يريد – جل وعلا – أن يعاقبها ٠

وهذا ما نجده في قوله تعالى : (قَالَ ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّن الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَـؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـكِن لاَّ تَعْلَمُونَ) (٩٩) ٠ فسياق الآية يوحي الى أن الله – جل وعلا – أعد نار جهنم وهيأها وكأنما الحساب قائم، فهو يصور لنا مشهدا من مشاهد يوم القيامة ، فكل امة او مجموعة من الناس تذم التي قبلها ،وتشهد عليها بأنها كذبت الرسل وأشركت بربها تريد بذلك الخلاص ، والنجاة من العذاب الذي سيضاعفه الله لهم ، وفي هذا النص القرآني دلالات معنوية تشير الى مدى شدة وطول فترة هذا العذاب ٠ فاذا انعمنا النظر في هذا المقطع القرآني وجدنا أن الافعال كثيرة التكرار ، لاسيما الماضي منها ، اذ تكرر ثماني مرات ، وهي تحكي لنا قصة حال ماضية يراد بها الاستقبال ، كيف أن الامم التي سبقتنا ، يشهد بعضها على بعض ويلعن بعضها بعضا ٠ وهذه السمة التعبيرية نجدها في زمن الفعل الماضي ، لا شك أن هذا التكرار يحتمل أن يكون

مناسبا لذكر العذاب الذي سيضاعفه – جل وعلا – لهؤلاء الاقوام فتكراره يوحي الى تكرار العذاب واستمراره عليهم . كذلك قوى هذا الاسلوب مجيء (كلما) فاذا جاء بعدها فعل ماضي أفادت الاستمرارية في الماضي والمستقبل (١٠٠).

أما (الفاء) فقد أدت دورها في رسم الصورة التي أرادها الناظم الحكيم ، فكان الغرض منها سرعة مجيء هذا العذاب ، بعد قولهم (ربنا هؤلاء اضلونا) فأعقبه الله بزيادة العذاب لكلا الفريقين . والله اعلم .

جاء في مجمع البيان : (هذه حكاية قولة الله تعالى للكفار يوم القيامة وأمره لهم بالدخول ، ويجوز أن يكون اخبارا عن جعله إياهم في جملة اولئك من غير أن يكون هناك قول كما قال :

(كونوا قردة خاسئين) والمراد أنه جعلهم كذلك . (في امم قد خلت) أي في جملة اقوام وجماعات قد مضت . (من قبلكم من الجن والانس) على الكفر . وقيل إن في بمعنى (مع) أي : ادخلوا مع أمم كافرة (كلما دخلت امة) من هذه الأمم النار

(لعنت اختها) يعني التي سبقتها الى النار ، وهي اختها في الدين لا في النسب ، يريد أنهم يلعنون من كان قبلهم . وقيل يلعن الاتباع القادة والرؤساء اذا حصلوا في العذاب بعدما كانوا يتوادون في الدنيا ، يقولون : انتم اوردتمونا هذه الموارد فلعنكم الله . (حتى اذا اداركوا) أي تلاحقوا واجتمعوا في النار . (جميعا) أي : كان هذا حالهم حتى اجتمعوا فيها ، فلما اجتمعوا (قالت اخراهم لأولاهم) أي : قالت اخراهم دخولا النار وهم الاتباع لأولاهم دخولا ، وهم القادة والرؤساء (ربنا هؤلاء اضلونا) أي : شرعوا لنا أن نتخذ من دونك الهاً . وقيل : معناه دعونا الى الضلال وحملونا عليه ومنعونا من اتباع الحق .

قال الصادق – عليه السلام – (يعني أئمة الجور) فأعطهم عذابا مضاعفا . وقيل : أراد بأحد الضعفين : عذابهم على الكفر . وعذابهم على الإغواء) (١٠١) . فسمة هذا النعت أنه مضاعف ، أي : متكرر ويعني : طول فترة بقاء العذاب على الكفار واستمراره الى ما شاء الله . وقد ورد ذكر هذا النعت (مرتين).

نُكْرا :

لغة : جاء في اللسان : (النكر والنكراء : الدهاء والفطنة ، ورجل نَكِر ونَكُر ، ونُكُر ، ومنكر من قوم مناكير ، داهٍ فطن ... ، والانكار الجحود ، والمناكرة المحاربة وناكره ، أي : قاتله ، ويقال : فلان

يناكر فلانا ، وبينهما مناكرة ، أي : معاداة وقتال ٠ وقوله تعالى : (إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) (١٠٢) ٠ أي : اقبح الاصوات ٠ والنُكْر ، والنُكَر : الامر الشديد ٠٠٠ ، والتنكير ، التغيير من حال تسرّك الى حال تكرهها منه ، والنكير اسم الانكار الذي معناه التغيير ، ٠٠٠ ، وقد نكره فتنكر ، أي : غيره فتغير الى مجهول ٠٠٠) (١٠٣) ٠

اصطلاحا : فإن: (الانكار ضد العرفان ، يقال : انكرت كذا ونكرت ، واصله أن يرد على القلب ما لا يتصوره ٠ وذلك ضرب من الجهل ٠ قال تعالى : (فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ) (١٠٤) ٠ وقد يستعمل ذلك فيما ينكر باللسان ، وسبب الانكار باللسان هو الانكار بالقلب ، ولكن ربما ينكر اللسان الشيء وصورته بالقلب حاصلة ويكون في ذلك كاذبا ، وعلى ذلك قوله (وهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ) (١٠٥) ، والمنكر كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه ، او تتوقف في استقباحه واستحسانه العقول ، فتحكم بقبحة الشريعة والى ذلك قصد بقوله : (والامرون بالمعروف والناهون عن المنكر) (١٠٦)٠ ٠٠٠ ، وتنكير الشيء من حيث المعنى جعله بحيث لا يعرف ، كقوله : (نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا) (١٠٧)٠ وتعريفه جعله بحيث يعرف ، واستعمال ذلك في عبارة النحويين هو أن يجعل الاسم على صفة مخصوصه ٠٠٠) (١٠٨)٠

وعلى ما تقدم فإن لهذا النعت عدة دلالات معنوية ، منها أنه يعني : الشدة ، او التغيير، او الشيء المجهول الذي لا يعرف ، او الجحود الى الخ ٠ وهذا ما يقتضيه البحث في هذا النعت ٠ لذلك جاء استعمال القرآن الكريم له مناسبا ، لأن يكون نعتا للعذاب ٠ اذ قد يكون العذاب شديدا ، او متغيرا من حالة الى حالة ، او مجهولا لا يعرف حجمه ، او نوعه ، او شدته ، فلذلك وصفه الله – جل وعلا – بأنه (نكرا) حتى يكون السامع متهيبا منه فهو أوقع في نفسه اذ لا يعرف مصيره في هذا العذاب ٠ ومن المواطن التي ذكر فيها هذا النعت قوله تعالى : (قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُّكْراً) (١٠٩)٠

إن السياق العام لهذا النص القرآني ، هو نقل خطاب ، او رسم صورة لملك حكم الارض شرقا وغربا ، اذ مكنه الله على جميع الاقوام والممالك في ذلك الوقت ، وهو ذو القرنين ، اذ اعطاه الله من القوة والحكمة والملك ما شاء الله ، اذ بدأ الله هذا النص بالفعل (قال) الذي يحكي قصه حال ماضيه عن شخص في غابر الزمان ، ثم بعد ذلك ينتقل الى تفصيل الكلام ، وهذا ما افادته (أما) التفصيلية ، التي تزيد من ايضاح هذه القصة ومفادها أن الذي يظلم بالقتل او بالكفر ، فجزاؤه عذاب في الدنيا ، وقد اكدته (الفاء) الداخله في جواب (أما) وفيها خصوصية التفصيل ، وتعني : مهما يكن من شيء (١١٠) ، فان العذاب لاحق بالظالمين ٠ وقال (فسوف نعذبه) ، أي : اذا كفر بالله

واعتدى بظلمه ، فمهما يطول بقاؤه فسنعاقبه على ذلك الجرم في الدنيا ، وهذا ما اكدته (سوف) المفيدة لبعد الزمان وتراخيه ٠ كذلك انها تعطي معنى : الهلاك والموت جزاء للظالمين (١١١)٠ وكذلك فإن المقام فيه من الوعيد والتهديد ، عقوبة وزجرا للظالم ، ما يقتضي ذكر (سوف) على (السين) ٠ والذي يبدو أن (سوف) اكثر توكيدا من السين لزيادة حروفها عليها ويدل على ذلك الاستعمال القرآني ٠ علاوة على أن المقام يقتضي زيادة في التهديد والوعيد فجاء بـــ (سوف) التي هي اكد من (السين) ، وبعد ذلك جاءت (ثم) ، فاصلة بين عذاب ذي القرنين في الدنيا ، وعذاب الله – جل وعلا – في الاخرة ، وقد جعلت بين العذابين مهلة (وحقيقة ثم الدلالة على التراخي ، وهو أن يكون بين المعطوفين مهلة لكن هذا التراخي يخضع لاعتبارات نفسية وعقلية ،٠٠٠٠ ولاحوال ودواع تقتضيها مقامات الكلام وسياقاته) (١١٢) ٠ ثم ختم – جل وعلا – الآية بالعذاب (النكر) وهذه الصفة لا يعرف مقدارها وحجمها الا الله ، وقد وصف هذا العذاب بأنه منكور ، أي : مجهول وهي من دلالات هذا النعت ٠ وقد وصف بالمصدر للمبالغة في غشيان العذاب لهم (١١٣) ٠

جاء في تفسير ابن كثير : (أن الله تعالى مكنه منهم وحكّمه فيهم واظفر بهم وخيَره إن شاء قتل وسبى وإن شاء مَنّ او فدى فعُرف عدله وايمانه فيما ابداه عدله وايمانه في قوله (واما من ظلم) أي : استمر على كفره وشركه بربه (فسوف نعذبه) قيل : بالقتل (اذا لم يرجع عن الشرك) (١١٤) وقوله (ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا) ، أي : عذابا

شديدا بليغا وجيعا اليما ، وفي هذا اثبات المعاد والجزاء) (١١٥) ٠ وقيل : أي عذابا منكرا غير معهود يعني في النار وهو اشد من القتل في الدنيا ٠(١١٦)

فهذا النعت والوصف للعذاب متغير مجهول لا يُعرف مدى قوته وشدته إلا الله – جل وعلا – ولا يستطيع احد ان يتصوره ٠ وقد ورد ذكره في القرآن الكريم (مرتين) ٠

بئيس :

لغة : جاء في لسان العرب : (البأساة اسم الحرب والمشقة ، والضرب والبأس : العذاب ٠ والبأس : الشدة في الحرب ٠ وفي حديث علي – عليه السلام – كنا اذا اشتد البأس اتقينا برسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – يريد الخوف ولا يكون الا مع الشدة ٠ والبأس والبئِس ، على مثال فَعِل ، العذاب الشديد ٠٠٠ ، ورجل بَئِس ، شجاع ، بَئِس بأسا وبُؤس بأسة ٠ والبؤس : الشدة والفقر ٠٠٠ ، والبائس : الرجل النازل به بلية او عدْم يرحم لما به ٠٠٠ ، وا بتأس الرجل اذا بلغه شيء يكرهه ، والمبتئس الكاره الحزين ٠ (١١٧)

اصطلاحا : فإن : (البؤس ، والبأس ، والبأساء : الشدة والمكروه إلا أن البؤس في الفقر ، والحرب اكثر ، والبأس والبأساء في النكاية ٠ نحو قوله : (وَاللّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً) (١١٨) ٠ وقال : (بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ) (١١٩)٠ وقد يؤس يبؤس ، وعذاب بَئيس فَعِيل ، من البأس او من البؤس ٠ وقوله : (فَلاَ تَبْتَئِسْ) (١٢٠)٠ ، أي لا تلتزم البؤس ولا تحزن ٠٠٠ ، وبئس كلمة تستعمل في جميع المذام ، كما ان (نعم) تستعمل في جميع الممادح ٠٠٠ واصل بئيس : بئس ، وهو من البؤس) (١٢١)

فمن المعاني الدلالية التي يشير اليها هذا النعت ، هي الشدة ، والقوة ، والمشقة والعذاب الخ ٠ وهذه الدلالات المعنوية مطلوبة في بيان معرفة دلالة هذا النعت ، وقد ورد في القرآن الكريم (مرة واحدة)، وذلك في قوله : (فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ)(١٢٢)٠

في هذا النص القرآني خاطب – عز وجل – اهل القرية التي كانت حاضرة البحر ٠ في ذلك الوقت خطابا فيه تهديد ووعيد ، وذلك لما جاءهم من قدم لهم النصح وانذرهم وحذرهم ، فتمادوا وتركوا ذلك عامدين قاصدين ، تكبرا وعنادا ، وهذا ديدن اليهود ، كما وصفهم الله – جل وعلا – في كتابه الكريم ٠ أذ نجّى الذين نهوهم وقدموا لهم النصائح وامتنعوا عن المنكرات ٠ واعد العذاب الذي وصفه بالبئيس ، الذي يحمل في معناه الشدة ، والمشقة ، وعدم الشفقة لهؤلاء الذين كفروا بالله ونسوا ما ذكروا قاصدين بذلك، الاستهزاء، والتكبر. فقد وصفهم – جل وعلا – بأنهم قوم فاسقون تهكما بهم ٠

جاء في انوار التنزيل : ((فلما نسوا) أي تركوا ترك الناسي (ما ذكّروا به) ما ذكرهم به صلحاؤهم (انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا) بالاعتداء ومخالفة امر الله (بعذاب بئيس) شديد فعيل من بؤس يبؤس اذا اشتد ٠٠٠ وهو فعل ذم وصف به فجعل اسما) (١٢٣) ٠

صَعَدًا :

لغة : صَعِد المكان ، وفيه صعودا ، وَصَعَد وصعّد : ارتقى مشرفا ٠ والصّعُود : الطريق صاعدا مؤنثة ٠ الجمع أصعِدة وصُعُد ٠ والصَعود والصعوداء ، ممدود : العقبة الشاقة ٠٠٠ ، والصعود ضد الهبوط ، والجمع صعائد ، وصُعُد ٠ مثل عجوز و عجائز ٠ والصعود العقبة الكؤود ، وجمعها الاصعدة ٠ ويقال : لأرهقنك صعودا ٠ أي لأجتمنك مشقة من الامر ٠ وانما اشتقوا ذلك لأن الارتفاع

في صعود اشق من الانحدار في هبوط ٠ والصعيد التراب ٠٠٠ والصعيد الارض المستوية ، والصعداء تنفس بتوجع ٠ يقال : تصعدني الامر ، اذا شق عليك ٠ (١٢٤)

اصطلاحا : قيل إن : (الصَعَد ، و الصعيد ، و الصعود في الاصل واحد ، لكن الصعَود ، والصعَد يقال للعقبة ، ويستعار لكل شاق ٠ قال تعالى : (سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً) (١٢٥) ٠٠٠ ، أي عقبة شاقة ٠ والصعيد يقال لوجه الارض ٠ قال تعالى : (فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً) ٠٠٠ ، اما الاصعاد فقد قيل هو الابعاد في الارض سواء كان ذلك في صعود او حدور ، وأصلة في الصعود ، وهو الذهاب الى الأمكنة المرتفعة ٠ كالخروج من البصرة الى نجد ٠ ثم استعمل في الابعاد وإن لم يكن فيه اعتبار الصعود ٠٠) (١٢٦).

إن هذا النعت له دلالات معنوية عدة منها أنه يعني : العقبة والشدة والحمل الكؤود ، والمشقة ٠٠٠ الخ ٠ لذلك جاءت هذه الصفة مرتبطة بالعذاب ، لأنها تضيف لونا اخر للعذاب ، حتى يصبح اقوى واشد ترهيبا وزجرا لمن سيلقاه ٠ وهذا النعت ورد ذكره في القرآن الكريم (مرة واحدة) وذلك في قوله : (وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقاً لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً) (١٢٧) ٠

فالمعنى العام لهذا النص ، يوحي الى أن في الآية تحذيرا عظيما للظالمين بأنهم وقود جهنم يوم القيامة ، هذا ما وعدهم به – جلّ وعلا – لأنهم خرجوا عن طريق الحق والصواب ، ولو أنهم امنوا وحسُن عملهم واختاروا طريق الهداية لكان خيرا لهم ولبسطت لهم ارزاقهم ، ولكن جعل الله ذلك فتنة لهم ليختبرهم ٠ وبعد ذلك هددهم وتوعدهم اذا اعرضوا عن توحيده وعبادته فانه يذيقه عذابا صعدا : أي شاقا لا راحة فيه ٠

جاء في كتاب (من اسرار البيان القرآني) : (ذكر عذاب القاسطين دون جزاء المسلمين ، وانما قال في المسلمين : (فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً) ولم يذكر جزاءهم ٠ وهذا مناسب لما ورد في السورة من تردد العذاب ٠ فقد قال هنا : (فكانوا لجهنم حطبا) ٠ وقال : (ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا) ٠ وقال :(ومن يعصي الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا) ، كما ناسب عدم ذكر جزاء المسلمين في الآية جو السورة فانه لم يذكر فيها جزاء المسلمين ٠

فعدم ذكر جزاء المسلمين ناسب جو السورة ، وذكر جزاء القاسطين فناسب جو السورة وهو تناظر لطيف ٠ وقال : (وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقاً ٠٠٠ الاية) ٠ أي : لو أنهم استقاموا على الهدى لوسع عليهم الرزق ٠ وذكر الماء الغدق وهو الكثير : لأنه اصل المعاش وسعة

الرزق ٠ وقيل المعنى انهم : لو استقاموا على طريقة الضلال لأوسعنا عليهم الرزق استدراجا ٠ ويبعده أستعمال الاستقامة للاستقامة على الضلال ولم يرد في القرآن ذلك ، فانه لا يستعمل الاستقامة الا على الخير والهدى ٠

ومعنى (لنفتنهم فيه) : لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما خولوا منه ٠ واسند الاسقاء و الفتنة اليه ليدل على أن المنعم والمختبر واحد ٠

قد يقال : لماذا قال : (وأن لو استقاموا على الطريقة) فحذف الضمير ولم يقل : (وانهم لو استقاموا) او (ولو انهم) ٠ كما قال : (وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم ٠٠٠)(١٢٨)٠ والجواب انه لو قال : (انهم لو استقاموا) او (ولو انهم) لربما افهم أن ذلك مختص بهم لا يتعداهم الحكم الى غيرهم فذكر ضميرهم في حجة أن هذا الحكم عام لكل من يستقيم على الطريقة ٠ اما قوله (ولو انهم اقاموا التوراة ٠٠٠ الاية) فهذا خاص باليهود والنصارى فان التوراة انزلت على بني اسرائيل خاصة ، وكذلك الانجيل ، ثم إنهما نسخا فلا ينطبق الامر على من جاء بعد النسخ ٠ في حين أن الحكم الذي ذكره في آية الجن عام الى قيام الساعة فكان عدم ذكر الضمير الخاص بهم أولى ٠ وقال (ومن يعرض عن ذكر ربه) أي : عن عبادته او عن موعظته ٠ واكثر ما يستعمل الاعراض في القرآن اذا عدي بعن في الاعراض عن الذكر او الآيات اذا لم يقصد الاعراض عن الاشخاص ٠٠٠ وجعل عاقبة الاعراض عن الذكر والوعيد على ذلك اشد من الاعراض عن الآيات ٠ وقال : (يسلكه عذابا صعدا) ذلك أن الآيات جزء من الذكر فتوعده على الاعراض عن الذكر بما هو اشد ٠ ومعنى : (يسلكه عذابا صعدا) أي : يدخله فيه والصَعَد مصدر (صعد) : فوصف به العذاب لأنه يتصعده العذاب أي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه ٠ وقد وصف العذاب بالمصدر للمبالغة في غشيان العذاب لهم ٠

وقيل : صَعَد هو صخرة ملساء في جهنم يكلف صعودها ، فاذا انتهى الى اعلاها حدر الى جهنم ٠ وهو تناظر طريف مع محاولة صعود الجن الى السماء للاستماع حتى

اذا حاولوا الاستماع رجموا بالشهب ٠ وجاء بفعل الاعراض في الاية مضارعا ، أي : (يعرض) دون (اعرض) للدلالة على تجدد الاعراض وتكراره ، ولذا كان الوعيد اشد مما ذكر فيه الفعل الماضي ، فانه لم يذكر هذا النوع من العذاب الا مع الفعل المضارع ٠ أما مع الفعل الماضي فقد ذكر تهديدا أووعيدا اخف من عذاب تكرر الاعراض كما هو ظاهر في الآيات ٠

ومن الطريف أن نذكر أن القرآن لم يستعمل الفعل (سلك) في الآخرة ،إلا في النار ، ولم يستعمله في الجنة ٠ قال : (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ) (١٢٩)٠ وقال : (يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً)٠٠٠الخ٠)(١٣٠)٠

قريبا :

لغة : جاء في لسان العرب : (قَرُب الشيء بالضم ، يقرب قُربا ،وقُربانا وقِربانا ، أي : دنا ، فهو قريب ، الواحد والاثنين والجميع في ذلك سواء ٠٠٠ قال سيبويه : إن قُربك زيد ا ، ولا تقول إن بعدك زيدا ، لان القرب اشد تمكنا في الظرف من البعد ، وكذلك إن قريبا منك زيدا ، وأحسنه أن تقول : إن زيدا قريب منك ، لأنه اجتمع نكرة ومعرفة ، وقالوا هو : قرابتك أي : قريب منك في المكان ، وكذلك : هو قربتك في العلم ٠ وقولهم : ما هو بشبيهك ولا بقرابة من ذلك ، مضمومة القاف ، أي : ولا بقريب من ذلك ٠٠٠، ويقول الرجل لصاحبه اذا استحسنه : تقرّب ، أي : اعجل ٠٠٠ وما قربت هذا الامر ، ولا قربته ٠٠٠، وقراب الشيء وقرابه وقرابته ما قارب قدره ٠٠٠) (١٣١)

اصطلاحا : إن: (القرب والبعد يتقابلان ، يقال : قَربُت منه اقرب وقرّبه ، أُقرّبه قربا وقربانا ، ويستعمل ذلك في الزمان والمكان ، وفي النسبة ، وفي الحظوة، والرعاية، والقدرة ، فمن الاول قوله : (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ) (١٣٢)٠، ومن الثاني : (وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ) (١٣٣) ، وفي النسبة : (وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُواْ الْقُرْبَى) (١٣٤) ويقال للحظوة القربة كقوله : (قُرُبَاتٍ عِندَ اللّهِ) (١٣٥) ٠ وفي القدرة نحو :)نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) (١٣٦) ، ويحتمل أن يكون من حيث القدره ٠٠٠) (١٣٧)

إن هذا اللفظ من حيث دلالته المعنوية يوحي الى معنى مشترك ، وهو القرب ، سواء في الزمان ، او المكان ، اوالقدرة ، فهو يعني قرب المكان او قرب الزمان ٠

وقد ورد هذا اللفظ من حيث كونه نعتا للعذاب ، في القرآن الكريم (مرة واحدة) وهو يشير الى قرب زمان وقوع العذاب في يوم القيامة ٠ وذلك في قوله تعالى : (إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً) (١٣٨)٠ فسياق النص يشير الى أن الله – جل وعلا – لم ينزل العذاب بغتة دون سابق انذار ، وقد يكون الانذار بالانبياء ،والرسل، والكتب السماوية ، فكل ذلك تحذير

وتخويف وترهيب ، اذا اعرضوا وصدوا عن عبادة الله وتوحيده ، فبعد إن ذكر الله – جل وعلا – في اول هذه السورة احوال القيامة واهوالها ، ذكر منزلة اهل الجنة وما سينتظرهم فيها ، ثم ختم السورة

بهذه الآية، التي تنذر من اعرض وكفر بالله ، وقد افتتحت هذه الآية بـــ (إنَ) التي تفيد التأكيد، بأن العذاب كائن لا محالة قريب منهم ، في يوم ينظر المرء بعينه الى اعماله التى فعلها في الدنيا وهو لا يستطيع فعل شيء ولا أن يغير منها شيئا ، اذ يتمنى أن يكون ترابا ولا يرى هذا المشهد ، او يتذكر هذه الاعمال . وقد جاء التعبير بالفعل الماضي (انذرناكم) دون المضارع ، ذلك لأنه انذرهم بأمر واحد اخبرهم به وهي النار ، أما من جهة الفرق بين الانذار في سورة النبأ والإنذار في سورة الليل فانه لم يؤكد الإنذار في سورة الليل في حين أكده في سورة النبأ ، فقال :(إنا أنذرناكم) بتوكيده بـــ (إن) ذلك أن الانذار في سورة الليل لم يرد إلا في هذه الآيات (فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ...الاية) اما في سورة النبأ فقد اتسع الانذار وتكرر ذلك انه بدأ بقوله : (كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ) وهو انذار مؤكد بالتكرار ، ثم اعاد الانذار بقوله : (إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً ... الايات) ثم كرر الانذار في اخر السورة بقوله : (إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً) فكان الانذار في اول السورة ووسطها وآخرها فناسب ذلك التوكيد في سورة النبأ دون سورة الليل .)(١٣٩).

جاء في الكشاف : أن المعنى : ((المرء) هو الكافر لقوله تعالى (إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً) ، والكافر ظاهر وضع موضع المضر لزيادة الذم ، ويعني (ما قدمت يداه) من الشر كقوله : (ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم) ، و(ما) يجوز ان تكون استفهامية منصوبة بـــ (قدمت) ، أي : ينظر أي شيء قدمت يداه وموصولة منصوبة بـــ (ينظر) ، ويقال نظرته ونظرت اليه ، والراجع من الصلة محذوف ..)،(١٤٠)

وجاء في انوار التنزيل : (يعني عذاب الاخرة وقربه لتحققه ، فإن كل ما هو آت قريب، ولأن مبدأه الموت (يوم ينظر ...) يرى ما قدمه من خير وشر والمرء عام ...) (١٤١) .

كبيرا :

لغة : جاء في لسان العرب : (الكبير في صفة الله تعالى العظيم ، الجليل ، والمتكبر الذي تكبر عن ظلم عباده ، والكبرياء العظمة لله ، جاءت في فعلياء . قال ابن الاثير : في اسماء الله المتكبر ، والكبير ، أي : العظيم ذو الكبرياء . قال ابن سيده : الكبر نقيض الصغر ، كبُر ، كبرا وكُبرا فهو كبير ، وكبار وكبّار بالتشديد اذا افرط .والانثى بالهاء ، والجمع كبار ، وكبّارون ... ، وكبر بالضم يكبر ، أي : عظم واستكبر الشيء رآه كبيرا وعظم عنده .) (١٤٢) .

اصطلاحا : فإن: (الكبير والصغير من الاسماء المتضايفة التي تقال عند اعتبار بعضها ببعض ، فالشيء قد يكون صغيرا في جنب شيء ، وكبيرا في جنب غيره ويستعملان في الكمية المتصلة

كالاجسام ، وذلك كالكثير ، والقليل في الكمية المنفصلة كالعدد ، وربما يتعاقب الكثير والكبير على شيء واحد بنظيرين مختلفين ، كقوله (قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ) (١٤٣) ٠ وكثير ، واصل ذلك أن يستعمل في الاعيان ثم استعير للمعاني) (١٤٤) ٠ وكقوله : (وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ) (١٤٥) ٠ وكقوله : (يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ) (١٤٦) ٠٠٠ الخ ٠ وكقولك : كبر الامر ، وخطب كبير ، وكبر عليّ ذلك ، اذا اشق عليك ، كقوله : (كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ) (١٤٧)٠ وكبر الرجل في قدره ، وكبر في سنه ، وشيخ كبير ٠٠٠ ٠(١٤٨)٠

ومعنى ما تقدم يشير الى أن لفظة (الكبير) فيها دلالات معنوية كثيرة ، من اشهرها ، العظمة أي : الشيء الكبير العظيم ٠ وهذه الدلالة جاءت مؤكدة لقوة العذاب وكبره الذي نعت به ٠ وقد ورد هذا النعت في القرآن الكريم (مرة واحدة) وهو يعطي معنى عظم وكبر العذاب الذي سيعاقب الله – عز وجل – به الامم او الناس ٠ وذلك في قوله : (فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفاً وَلَا نَصْراً وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَاباً كَبِيراً) (١٤٩)٠

إن الجو العام لهذه الآية يتحدث عن التكذيب والظلم ، وعاقبة ذلك هو أن يعيش المعذّب في حالة من الذعر والخوف ، لما صدر منه ترهيبا له ٠ إذ بدأت هذه الآية بالتكذيب وختمت بالذوق ، وكلاهما يكون في اللسان فناسب لفظ الاذاقة السياق ٠ علاوة على أن فعل التكذيب سبق بـــ (قد) ، واذا دخلت على الماضي فإن معناها التحقيق ، وهي تفيد التوكيد (١٥٠) ٠ أي : أن التكذيب متحقق بهم ، ومن صفاتهم ، ثم بعد ذلك توعد وهدد بالعذاب الكبير، لمن يظلم او يكون الظلم من صفاته ٠

جاء في الكشاف : (وقرئ (يقولون)(١٥١) بالتاء والياء ، فمن قرأ بالتاء ٠ فقد كذبوكم بقولكم انهم الهة ، ومعنى من قرأ بالياء ، فقد كذبوكم بقولهم :) سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاء) (١٥٢)٠ فان قلت : هل تختلف حكم الباء مع التاء والياء ؟ قلت : اي والله هي مع التاء كقوله : (بل كذبوا بالحق) والجار والمجرور بدل من الضمير ، كأنه قيل : فقد كذبوا بما تقولون ، وهي مع الياء كقولك : كتبت بالقلم ٠ وقريء (يستطيعون) بالتاء والياء ايضا ٠ يعني : فما تستطيعون انتم يا كفار صرف العذاب عنكم ٠٠٠، او فما يستطيع الهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب، او أن يحتالوا لكم ٠ والخطاب على العموم للمكلفين،والعذاب الكبير لاحق بكل من ظلم ، والكافر ظالم لقوله : (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) (١٥٣) والفاسق ظالم لقوله : (وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (١٥٤)٠ (١٥٥) ٠ وقيل العذاب الكبير هو الشديد ٠(١٥٦)٠

وهذا النعت لم يبين نوع العذاب، او جنسه، بل هو قوة وزيادة، وشدة تضاف الى العذاب الذي يصيب الكافر ، فهو يعني حجم، وعظم العذاب ٠ والله اعلم ٠

مستقر :

لغة : جاء في اللسان : (القُرّ : البرد عامة ، بالضم ٠ وقال بعضهم : القُرّ في الشتاء ، والبرد في الشتاء والصيف ، يقال : هذا يوم ذو قُرٍّ ، أي : ذو برد ٠ والقِرةَ ما اصاب الانسان وغيره من القُرّ ٠٠٠ ، والقُرّ ، بالضم : القرار في المكان ، تقول منه قرِرت بالمكان بالكسر، أقَرّ قرارا وقَرَرت ايضا بالفتح ، أقِرّ قرارا و قُرورا ، قرّ بالمكان يَقِر ، ويَقَر ، والاولى اعلى ٠ قال ابن سيده : اعني أن فَعَل يفعِل ههنا اكثر من فَعَل يفعَل ، قرارا وقرورا وقرا وتقرارة و تَقِرة ، والاخيرة شاذة ، واستَقَرّ وتقارّ واقترّه فيه وعليه وقررّة واقرّه في مكان فاستقر ٠ وفلان ما يتقارّ في مكانه ، أي : ما يستقر ٠٠٠) (١٥٧).

اصطلاحا : يقال إن : (قَرّ في مكان يقر قرارا ، اذا ثبت ثبوتا جامدا ، واصله من القُرّ وهو البرد ، وهو يقتضي السكون ، والحر يقتضي الحركة ٠٠٠ ، قال تعالى : (أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً) (١٥٨) أي : مُستقرا ٠ قال في صفة الجنة : (ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ) (١٥٩) ٠ ، وفي صفة النار (بِئْسَ الْقَرَارُ) (١٦٠)٠ ٠٠ ويوم القَرّ بعد يوم النحر لا ستقرار الناس فيه بمنى ، واستقرّ فلان اذا تحرى القرار ، وقد يستعمل في معنى قرّ كاستجاب و اجاب ، قال في الجنة : (خَيْرٌ مُّسْتَقَرّاً وَأَحْسَنُ مَقِيلاً) (١٦١)، وفي النار : (سَاءتْ مُسْتَقَرّاً) (١٦٢)٠٠٠) (١٦٣) ٠

فلفظة (قر) معناها الاكثر شيوعا هو من القرار ، أي : الثبات ، او المكان وهو مناسب لان يكون نعتا للعذاب ، اذ يدل على أن العذاب ثابت مستقر لا يتغير، لهؤلاء الصنف من الناس ٠وقد ورد هذا النعت في القرآن الكريم (مرة واحدة) وذلك في قوله : (وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ)) (١٦٤) ٠ نلاحظ في هذا النص القرآني أنه – عز وجل – صدّره بحرف القسم ، ثم تلاه حرف التحقيق الذي يفيد وقوع الفعل سيما الماضي ٠

جاء في التفسير البياني أن : (هذه اللام واقعة في جواب قسم عند النحاة سواء كان القسم مذكورا او مقدرا ٠ و (قد) حرف تحقيق وقد دخلت على الفعل الماضي ، ومعنى ذلك ان ما اخبر قد حصل وتحقق فعلا) (١٦٥)٠ ثم جاء التعبير بصيغة (فعّل) بعد حرف التحقيق فقال : (صبحّهم) بالتشديد والذي يفيد التأكيد والمبالغة (١٦٦)في مفاجأة العذاب لهم ، في وقت الصباح ، ثم أكده بلفظة الابكار ، أي في اول النهار ٠ اذ وصف هذا العذاب يأنه مستقر ثابت لا يحول عنهم الى يوم قيام الساعة ، وقد كرر – جل وعلا – العذاب عليهم لقبح فعلهم والتشنيع بصنيعهم فجازاهم بهذه العقوبة بتكرار العذاب لهم ٠

فقال : (فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ) ثم اردفه بقوله : (ولقد صبحهم ٠٠٠ الاية) ٠ وهو خطاب فيه من الترهيب والتهويل ما لا يعرفه احد لقوم لوط وفيه تحذير لمن يجيء بعدهم٠

جاء في تفسير القرطبي : (أي – عذاب – دائم عام استقر فيهم حتى يفضي بهم الى عذاب الاخرة ، وذلك العذاب قلب قريتهم عليهم وجعل اعلاها اسفلها ٠٠ والعذاب الذي نزل بهم من طمس الاعين غير العذاب الذي اهلكوا به فلذلك حسن التكرار ٠) (١٦٧) ٠

فهذا النعت لم يوضح جنس العذاب او نوعه ، وانما اعطى للعذاب صفة الثبوت والدوام ٠ والله اعلم

واصب :

لغة : جاء في اللسان : (الوصب : الوجع والمرض ، والجمع أوصاب ٠ ووصب يوصب وصبا ، فهو واصب ٠ وتوصّب ، ووصّب ، واوصب و اوصبه الله فهو موصب ٠ والموصّب بالتشديد الكثير الاوجاع ٠٠٠ ، والوصب دوام الوجع ولزومه ٠ كمرّضه من مرض أي : دبرّته في مرضه ، وقد يطلق الوصب على التعب والفتور في البدن ٠٠٠ ، والاوصاب الاسقام ، الواحد وصب ٠ ورجل وصب ، من قوم وصابي ، ووصاب ٠ والوصب شدة التعب ، وفيه (عذاب واصب) ، أي : دائم ثابت ، وقيل : موجع ٠٠٠) (١٦٨)٠

اصطلاحا : يقال : (الوصب السقم اللازم ، وقد وصبه فلان فهو وصب ، واوصبه كذا ، فهو يتوصب ، نحو: يتوجع ٠ قال تعالى : (وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ) وقوله : (وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً) (١٦٩) ٠ فتوعد لمن اتخذ الاهين ، وتنبيه أن جزاء من فعل ذلك ، عذاب لازم شديد ، ويكون الدين ههنا الطاعة ٠ ومعنى الواصب الدائم ، أي : حق الانسان ان يعطيه دائما في جميع احواله ٠ كما وصف به الملائكة ٠٠٠ ، ويقال : وصب ، وصوبا ، داد ٠ ووصب الدين ، وجب ٠ ومفازة واصبه ، بعيدة لا غاية لها) (١٧٠)٠

وما تقدم يعني أن هذا النعت معناه : التعب والوجع ، والمرض والدوام وما الى ذلك من دلالات معنوية كثيرة وهي معان تزيد من شدة العذاب وقوته ، لذلك فهي مناسبة لسياق العذاب ، وفيها من البلاغة وحسن النظم البياني للقرآن الكريم ، وقد ورد هذا النعت وصفا للعذاب (مرة واحدة) وذلك في قوله تعالى : (إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظاً مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ دُحُوراً وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ) (١٧١)٠ بدأ الخالق – جل وعلا – هذا النص القرآني بفعل الزينة بعد حرف التوكيد ، بأن النجوم والأقمار والكواكب ، هي لتزيين السماء

وجماليتها ، فضلا عن كونها من صنع الخالق – عز وجل – اذ تبهر الناظر اليها وهي تتلألأ في السماء وكأنها

قناديل معلقة لا يمسكها شيء تضيء وهي بعيدة جدا ، اذ يقدّر بعدها بالسنة الضوئية لبعدها ٠ وقد اسند هذا الامر الى نفسه سبحانه وتأكيده بـــ (إن) دال على استحكام هذا الامر وأنه ليس هناك من يصنع كصنعه ٠ فهو الذي زين هذه السماء ٠ ثم حدد هذه الزينة بقوله : (السماء الدنيا) اذ إن هذا التزيين انحصر في السماء الدنيا – فمن المعروف أن هناك سبع سماوات كما بينها –جل وعلا – في كتابه الكريم ، وذلك لينظر اليها المخلوق لاسيما الانسان لانه هو المقصود ، ويتخذها عبرة في توحيده وعبادته وعدم الاشراك به ، ثم اكد الزينة بحرف الجر الذي يفيد بأن الكواكب والاقمار والشهب هي للتزيين اولا ، اذ أكده بالتزيين الثاني وبالجملة الظرفية (الاسمية)، من الجار والمجرور بقوله (بزينة) لثبات جماليتها و حسنها ، ثم اضاف الزينة للكواكب ، وهي من اضافة المصدر الى عامله تقوية له ، أي أنه اضاف الحسن الى الكواكب فضلا على ذلك فان لهذه الكواكب والشهب وظيفة اخرى اكثر اهمية وهي قذف مردة الشياطين واحراقهم بها ومنعهم من الاقتراب او الصعود الى السماء ، لأنهم يريدون او يحاولون استراق السمع لينقلوه الى السحرة ، فأوعدهم بهذا العذاب الموجع الدائم الشديد الذي وصفه بأنه واصب ٠

ولو عدنا الى سياق الآية، لوجدنا في بلاغة التعبير ما يندهش عنده السامع، ففي قوله (يسمّعون) بالتشديد، من البلاغة والتأكيد في طلب السمع ، ولكنهم لا يقدرون حتى من الاقتراب، لانهم لعنوا وطردوا من رحمة الله ٠

جاء في الكشاف : أن معنى التشديد هو : (طلب السماع لأن اصله : يتسمعون ٠ يقال : تسمع فسمع او فلم يسمع ٠٠٠، وقيل هم يتسمعون ولا يسمعون ، وبهذا ينصرف التخفيف من التشديد)(١٧٢) ٠ اما من جهة تعدي الفعل (سمع) بحرف الجر (الى) ففيه تحقير، وتصغير، واذلال ، لمن يحاول الاقتراب ليسترق شيئا عن طريق السماع ٠

قال الزمخشري : (فان قلت : أي فرق بين سمعت فلانا يتحدث وسمعت اليه يتحدث وسمعت حديثه والى حديثه ٠ قلت : المعدى بنفسه يفيد الإدراك والمعدى بالى يفيد الإصغاء مع الادراك)(١٦٣) ٠ مبالغة لنفيه وتهويلا لما يمنعهم (١٧٤) ٠ وهذا المعنى تدل عليه قراءة المصحف التي هي قراءة الجمهور ٠

وجاء في مجمع البيان أن المعنى : (وحفظناها من دنوّ كل شيطان للاستماع فانهم كانوا يسترقون السمع ويستمعون الى الملائكة ويقولون ذلك الى ضعف الجن وكانوا يوسوسون بها في قلوب الكهنة ويوهمونهم انهم يعرفون الغيب ، فمنعهم الله تعالى من ذلك لكيلا يستمعّو الى الكتبة من الملائكة في السماء • وقوله (ويقذفون من كل جانب) أي : يرمون بالشهب من كل جانب من جوانب السماء اذا ارادوا الصعود للاستماع • (دحورا) أي : دفعا لهم بالعنف وطردا • (ولهم عذاب واصب) ولهم مع ذلك ايضا عذاب دائم يوم القيامة •) (١٧٥) • وقيل : لهم عذاب شديد موجع يصل وجعه الى القلب • (١٧٦)

فبما أن هذا النوع من العذاب ، الذي وصفه الله – جل وعلا – بأنه (واصب) ورد مرة واحدة في القرآن الكريم وفي سياق التهديد والوعيد للشياطين ، فقد يكون هذا النعت مخصوصا بهم ، لأنه يعني دوام العذاب ، فان الله – عز وجل – طردهم من رحمته وعفوه.

فقال : (اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُوماً مَّدْحُوراً لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ) (١٧٧) فجعل مثواهم جهنم وهي دارهم • والله اعلم •

الخاتمة

توصل هذا البحث الى نتائج، كان الباعث لها هو الحرص على توضيح وبيان، ما يستعمل من نعوت ، وبيان معناها اللغوي، والاصطلاحي ، للوصول الى دلالاتها القرآنية من خلال السياق • وفيما يأتي أهمها :

١.إن جهنم دركات ، ولكل درك درجات من العذاب ، وهذا العذاب لطائفة او فرقة ، او لأمة من الناس كما مر بنا • كعذاب الواصب للشياطين ، والعذاب النكر، لقوم كفروا في عهد ذي القرنين

٢.إن اغلب هذه النعوت لا تبين نوعية او كيفية العذاب ، انما توضح حجم اوشدة العذاب ، كالعذاب الأكبر، والعذاب الكبير، وكذلك المقيم ، فانها نعوت لا توضح العذاب او ترسم له صورة في ذهن السامع كما هو الحال في العذاب الغليظ ، او صعد •

٣.وهناك نعوت هي تأكيد للعذاب ، لايعرف مدى قوتها إلا الله فهي مجهولة المصير كالعذاب الشديد ، والعظيم والقريب •

٤.وفي بعض هذه النعوت اوجه تشابه فيما بينها فلا فرق فيها إلا من حيث القوة كالكبير والاكبر •

٥.ومن هذه النعوت ما يعطي معنى الثبات للعذاب ، وليس قوة او مضاعفة له ٠ مثل قوله (عذاب مستقر) فهو عذاب ليس فيه ما يحدده ٠

٦.إن أكثر نعوت العذاب كثرة في القرآن الكريم هو (الأليم) وفيه دلالة على أن العذاب ألم مستمر، ولكن بدرجات متفاوتة من حيث القوة والشدة وذلك إن دل على شيء فيدل على أن هذا النعت ،هو أقوى أنواع العذاب نظرا للكثرة، والاستمرارية ٠ والله اعلم ٠

الهوامش

١.شرح ابن عقيل : ١٥٨/٣ ٠

٢.النساء :٧٥ ٠

٣.التوابع في كتاب سيبويه :١١ ٠

٤. (مجمل اللغة) : مادة (الم) ومختار الصحاح (الم) ، والمعجم الوسيط (الم)٠

٥.لنساء : ١٠٤ ٠

٦.ينظر المفردات : (ألم) ، اساس البلاغة : (ألم) ٠

٧.المعجم الوسيط (الم) ٠ والاعلم : (الم) ٠

٨.لقمان : ٧ ٠

٩.على طريق التفسير البياني : ٢/ ٢٩٥ ٠

١٠–دقائق الفروق اللغوية : ١٧٥ ٠

١١– لسان العرب : مادة (وقر) ٠

١٢–على طريق التتفسير البياني : ٢/ ٢٩٦ ٠

١٣– الكشاف : ١/ ١٧٨ ٠

١٤– معاني الزجاج : ١/ ٨٦ ٠

١٥- في فوائد مشكل القران : ٧٣ .

١٦- الفروق اللغوية : ٢٥٣ .

١٧- اللسان : مادة (شدد) .

١٨- الانسان : ٢٨ .

١٩- محمد : ٤ .

٢٠- فاطر : ٤٤ .

٢١- النجم : ٥ .

٢٢- الحشر : ٤ .

٢٣- ق : ٢٦ .

٢٤- العاديات : ٨ .

٢٥- المفردات : مادة (شد) .

٢٦- ابراهيم : ٢ .

٢٧- التقديم والتأخير في القران الكريم : ١٢٥ .

٢٨- الزمر : ٦٨ .

٢٩- طه : ٦ .

٣٠- النحل : ٥٢ .

٣١- الحديد : ١ .

٣٢- الحشر : ١ .

٣٣- التعبير القراني : ٨٩ .

٣٤- معاني القران للزجاج : ١/ ١٦٠ .

٣٥- الكهف : ٣٩ .

٣٦- انوار التنزيل : ٢/ ١٦ . وينظر الجامع لاحكام القران : ٢/ ١٢ .

٣٧- الكشاف : ٢/ ٣٦٥ .

٣٨- لسان العرب : مادة (هون) .

٣٩- الفرقان : ٦٣ .

٤٠- الاحقاف ٢٠ .

٤١- ال عمران : ١٧٨ .

٤٢- مريم : ٩ .

٤٣- المفردات : مادة (هون) .

٤٤- لقمان : ٦ .

٤٥- البحر المحيط : ٣/ ١٣٠ .

٤٦- البقرة : ٢٠٤ - ٢٠٦ .

٤٧- على طريق التفسير البياني : ٢/ ٢٩٣ - ٢٩٤ .

٤٨-لسان العرب : مادة (عظم) .

٤٩-المعجم الوسيط : مادة (عظم) . وينظر الاعلم : مادة (عظم) .

٥٠-الانعام : ١٥ .

٥١- ص : ٦٧ .

٥٢- المفردات : مادة (عظم) .

٥٣- لسان العرب : مادة (عظم) .

٥٤- البقرة : ٧ .

٥٥- البقرة : ١٠ .

٥٦- البقرة : ٦ .

٥٧- التعبير القراني : ٦١ - ٦٢ .

٥٨- يشير الى ايات اخرى وردت فيها هذه الالفاظ مع القلب في القرانالكريم٠ ٥٩- فوائد في مشكل القران ٧٢٠ ٠

٥٩- الفروق اللغوية : ١٩٣ ٠

٦٠- لسان العرب : مادة (قوم) ٠

٦١- المفردات : مادة (قوم) ٠

٦٢- اساس البلاغة : مادة (قوم) ٠

٦٣- المائدة : ٣٧ ٠

٦٤- البحر المحيط : ٣/ ٤٨٨ ٠

٦٥- دروس في سورة المائدة : ٨٩ ٠

٦٦- معاني النحو : ١/ ١١ ٠

٦٧- معاني النحو : ٤/ ٥٧٠ ٠

٦٨- حاشية الانتصاف على الكشاف : ١/ ٣٢٧ ٠

٦٩- ينظر مختار الصحاح : مادة (غلظ) ٠ ولسان العرب : مادة (غلظ) ٠

٧٠- التوبة : ١٢٣ ٠

٧١- هود : ٥٨ ٠

٧٢- الفتح : ٢٩ ٠

٧٣- المفردات : مادة (غلظ) ٠

٧٤- ابراهيم : ١٦ – ١٧ ٠

٧٥- معاني النحو : ٢/ ٥٠٤ ٠

٧٦- معاني النحو : ٣/ ٣٢٣ ٠

٧٧- الاعجاز الصرفي في القران الكريم : ٢١٧ ٠

٧٨- على طريق التفسير البياني : ٢١/ ٣٤٩ ٠

٧٩- الكشاف : ٢/ ٣٧١ ٠

٨٠- لسان العرب : مادة (كبر) ٠ والمعجم الوسيط : (كبر) ٠

٨١- الحشر : ٢٣ ٠

٨٢- غافر : ٧٦ ٠

٨٣-غافر : ٣٥ ٠

٨٤- غافر : ٥٧ ٠

٨٥- ال عمران : ١٩١ ٠

٨٦- الدخان : ١٦ ٠

٧٨-المفردات : مادة (كبر) ٠

٨٨-الغاشية : ٢٢ - ٢٤ ٠

٨٩- ينظر من اسرار حروف العطف : ٣٤ - ٤١ ٠

٩٠- مجمع البيان : ١٠ /٢٨٧ ٠

٩١- انوار التنزيل : ٢/ ٦٠٠ ٠

٩٢- شواذ القراءات : ١٧٢ ، وينظر الكشاف : ٤/ ٢٤٨ ٠

٩٣- الاستثناء في القران الكريم : ١٣٥ ، وينظر الاستقناء في الاستثناء : ٤٠٢ ٠

٩٤- معاني النحو : ٤/ ٦٩١ ٠

٩٥- زاد المسير : ٩/ ١٠٠ ٠

٩٦- معاني النحو : ١/ ١١٧ ٠

٩٧-مجمل اللغة : مادة (ضعف) ٠

٩٨- الاحزاب : ٣٠ ٠ النساء : ٤٠ ٠

.٩٩ المفردات : مادة (ضعف) ٠

١٠٠- الاعراف : ٣٨ ٠

١٠١ ينظر معاني النحو : ٣/ ٣٠٦ .

١٠٢- مجمع البيان : ٤/ ٢١٢ .

١٠٣- لقمان : ١٩ .

١٠٤- لسان العرب : مادة (نكر) .

١٠٥- هود : ٧٠ .

١٠٦- يوسف : ٥٨ .

١٠٧- التوبة : ١١٢ .

١٠٨- النمل :٤٣ .

١٠٩- المفردات : مادة (نكر)

١١٠- الكهف : ٨٧ .

١١١- صف المباني : ١٠٤ .

١١٢- معاني النحو : ٤/ ٤٠٥ – ٤٠٦ .

١١٣- من اسرار حروف العطف :١٥٩ .

١١٤- زاد المسير : ٥/ ١٨٦ .

١١٥- تفسير ابن كثير : ٣/ ١٤٠ .

١١٦- مجمع البيان : ٦ / ٣٢٤ .

١١٧- مجمع البيان : ٦/ ٣٢٤ .

١١٨- لسان العرب : مادة (يأس).

١١٩- الحشر : ١٤ .

١٢٠- هود : ٣٦ .

١٢١- المفردات : مادة (يؤس)

١٢٢- الاعراف : ١٦٥ .

١٢٣- انوار التنزيل : ١/ ٤٥٣ . وينظر الكشاف : ٢/ ١٢٦ .

١٢٤- ينظر : مجمل اللغة : (صعد) . ولسان العرب : (صعد) .

١٢٥- المدثر : ١٧ .

١٢٦- النساء : ٤٣ .

١٢٧- المفردات : مادة (صعد).

١٢٨- الجن :١٧ .

١٢٩- المائدة : ٦٦ .

١٣٠- المدثر : ٤٢ .

١٣١- من اسرار البيان القراني : ٢٨٢ – ٢٨٥ .

١٣٢- لسان العرب : مادة (قرب) .

١٣٣- الانبياء : ١ .

١٣٤- البقرة : ٣٥ .

١٣٥- النساء : ٨ .

١٣٦- الاعراف :٥٦ .

١٣٧- ق : ١٦ .

١٣٨- المفردات : مادة (قرب) .

١٣٩- النبأ : ٤٠ .

١٤٠- الكشاف :٤/ ٢١١ . وينظر لجامع لاحكام القران : ١٠ /١٤٤ .

١٤١- على طريقة التفسير البياني : ١/ ١٤٣ .

١٤٢- انوار التنزيل : ٢/ ٥٨٠ .

١٤٣- لسان العرب : مادة (كبر) .

١٤٤- البقرة : ٢١٩ . وقرئ بهما . ينظر معاني القراءات : ٧٥ .

١٤٥- المفردات : مادة (كبر) .

١٤٦- يونس : ٦١ .

١٤٧- التوبة : ٣ .

١٤٨- الشورى : ١٦ .

١٤٩- اساس البلاغة : مادة (كبر)

١٥٠- معاني النحو : ٣/ ٣٠٠ .

١٥١- معاني القراءات : ٣٤٠ .

١٥٢- الفرقان : ١٨ .

١٥٣- لقمان : ١٣ .

١٥٤- الحجرات : ١١ .

١٥٥- الكشاف : ٣/ ٨٦ .

١٥٦- الجامع الاحكام القران : ١٣/ ١٤ .

١٥٧- لسان العرب : مادة (قرر) .

١٥٨- النمل : ٦١ .

١٥٩- المؤمنون : ٥٠ .

١٦٠- ص : ٦٠ .

١٦١- الفرقان : ٢٤ .

١٦٢- الفرقان : ٢٤ .

١٦٣- المفردات : مادة (قرّ) .

١٦٤- القمر : ٣٨ .

١٦٥- على طريق التفسير البياني : ٢/ ١٩ .

١٦٦- الاعجاز الصرفي : ١٢٧ .

١٦٧- الجامع لاحكام القران : ٩/ ١١٠ ٠

١٦٨- لسان العرب : مادة (وصب) ٠

١٦٩- النمل : ٦٢ ٠

١٧٠- المفردات : مادة (وصب)

١٧١- الصافات : ٨ – ٩ ٠

١٧٢- الكشاف : ٣ / ٣٣٦ ٠ ، وينظر زاد المسير : ٧/ ٤٣ ٠

١٧٣- الكشاف : ٣/ ٣٣٦ ٠

١٧٤- انوار التنزيل : ٢/ ٣٢١ ٠

١٧٥- مجمع البيان : ٨/ ٢٤٨ ٠

١٧٦- الجامع لاحكام القران : ١٥ / ٦١ ٠

١٧٧- الاعراف : ١٨ ٠

المصادر والمراجع

- القران الكريم ٠
- اساس البلاغة : جار الله ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨ هـ) ٠ دار احياء التراث العربي – بيروت – لبنان ط ١ ، ٢٠٠١م ٠
- الاستثناء في القران الكريم نوعه وحكمه واعرابه ٠ حسن طه الحسن ٠ مطبعة الزهراء الموصل – العراق ١٩٩٠م ٠
- الاستغناء في الاستثناء : شهاب الدين احمد بن ادريس القرافي (٦٨٤ هـ) تح: محمد عبد القادر عطا – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط١ ، ١٩٨٦م ٠
- الاعجاز الصرفي في القران الكريم : د٠ عبد الحميد هنداوي – المكتبة العصرية صيدا – لبنان ٠ ٢٠٠٨م ٠

- انوار التنزيل واسرار التأويل : ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (٦٩١ هـ) دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان . ١٩٨٨م .
- تفسير البحر المحيط : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الاندلسي (٧٤٥ هـ) درسة وتحقيق : الشيخ عادل عبد الموجود واخرين – دار الكتب العلمية – بيروت – ط٢ ، ١٩٩١م .
- تفسير القران العظيم : للحافظ عماد الدين ابو الفدا اسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٧٤ هـ) قدم له : عبد القادر الارناؤط – دار الفيحاء – دمشق – ط٢ ١٩٩٨م .
- التعبير القراني : د. فاضل صالح السامرائي . ساعدت جامعة بغداد على نشره ١٩٨٨م .
- التوابع في كتاب سيبويه : د. عدنان محمد سلمان – دار الحكمة للطباعة والنشر ، جامعة بغداد ، ١٩٩١م .
- الجامع لاحكام القران : لابي عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي (٦٧١هـ) تح : عبد الرزاق مهدي – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان ٢٠٠٩م .
- حاشية الانتصاف على الزمخشري في الكشاف : الامام ناصر الدين احمد بن محمد بن المنير الاسكندري . دار الفكر للطباعة والنشر .ط١،١٩٧٧م
- التقديم والتأخير في القرآن الكريم : حميد احمد عيسى العامري . دار الشؤون الثقافية العامة – ط١ – ١٩٩٦م .
- دروس في سورة المائدة : د. ماجد محسن راشد و د. عزيز سليم علي ، دار الضياء – النجف الاشرف – ط١ – ٢٠١٠م .
- دقائق الفروق اللغوية في البيان القراني : د. محمد ياس خضر الدوري . دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط١ – ٢٠٠٦م .
- رصف المباني في شرح حروف المعني : الامام احمد بن عبد النور المالقي (٧٠٢ هـ) تح : د. سغيد صالح مصطفى زعيمة – دار ابن خلدون – الاسكندرية . د.ت .
- زاد المسير في علم التفسير : للامام ابي فرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي (٥٩٧هـ) الكتب الاسلامي – بيروت . ط٤ ، ١٩٨٧م .
- شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك : للقاضي بهاء الدين عبد الله بن علي الهمداني : تح : محمد محي الدين عبد الحميد – دار القدير – ط١ – ١٤٢٩ هـ .
- على طريق التفسير البياني : د. فاضل صالح السامرائي . الناشر . جامعة الشارقة . ٢٠٠٤ م .
- الفروق اللغوية : للامام ابي هلال العسكري (٣٩٥هـ) . تح : ابي عمر عماد زكي بارون . المكتبة التوفيقية .

- فوائد في مشكل القرآن: لسلطان العلماء عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام (٦٦٠ هـ) تح : سيد رضوان علي الندوي – دار مكتبة الهلال بيروت – لبنان – ط١ ، ٢٠٠٨م .
- قاموس الاعلم : اعداد جماعة من الاساتذة ، باشراف ابراهيم شمس الدين ، مؤسسة الاعلمي – بيروت – لبنان – ط١ – ٢٠٠٥م .
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل : ابو القاسم جار الله الزمخشري : دار الفكر – ط١ – ١٩٧٧م .
- لسان العرب : للامام ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي (٧٧١هـ) نشر ادب الحوزة ، قم – ايران – ١٤٠٥هـ .
- مجمع البيان في علوم القران : للامام ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (٥٤٨هـ) دار القارئ – بيروت – لبنان – ط١ – ٢٠٠٩م .
- مجمل اللغة : لابي الحسين احمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥هـ) راجعه محمد طعمة – دار احياء التراث العربي – بيروت – لبنان – ط١ – ٢٠٠٥م .
- مختار الصحاح : محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي (٦٦٦هـ) ، دار الكتب العربي – بيروت – لبنان – ١٩٨١م .
- مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع : لابن خالويه (٣٧٠هـ) عن ينشر ، دار الهجرة .
- المعجم الوسيط : قام باخراجه ابراهيم مصطفى واخرين – دار الدعوة ، استانبول – تركيا. ١٩٢٩م .
- معاني القراءات : للشيخ ابي منصور محمد بن احمد الازهري (٣٧٠ هـ) ، تقديم د. فتحي عبده شلبي – دار الحديث – القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٧ م.
- معاني النحو : د. فاضل السامرائي – جامعة بغداد – بيت الحكمة ، ١٩٨٧م .
- المفردات في غريب القران : لابي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (٥٠٢هـ) .ضبطه : هيثم طعيمي – دار احياء التراث العربي – بيروت – لبنان – ط١ ، ٢٠٠٨ م .
- من اسرار البيان القراني : د. فاضل السامرائي : دار الفكر – عمان – الاردن – ط١ – ٢٠٠٩م .
- من اسرار حروف العطف في الحكيم (الفاء وثم) : د. محمد الامين الخضري – مكتبة وهبة ، القاهرة ط١ ، ١٩٩٣م .